جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

معالجة القرآن الكريم للعادات الجاهلية

–دراسة موضوعية في سورة الأنعام–

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية_تخصّص: التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:

أصالة بن شنة الشفاء صولي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. كمال قدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	رئيسا
د. عباس منصر	أستاذ محاضر–أ	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	مشرفا ومقررا
أ. مصباح موساوي	أستاذ محاضر–ب	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	عضوا

السنة الجامعية: 1440–1441هـ/ 2019–2020م

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

[العنكبوت: ٦٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم، وأزكى صلاة وسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ. وبعد أهدي ثمرة جهدي:

إلى من كانا سببا في وجودي، إلى من غمراني بحبهما وعطفهما، إلى من أحسنا تربيتي وسهرا على راحتي، إلى من كانا سراً في سعادتي ونجاحي: * **أمي الحبيبة أبي الغالي***

أسأل الله العلي القدير أن يحفظهما من كل سوء.

إلى من كانوا سنداً في حياتي أخواتي وإخوتي:

وفاء، منيرة، أحمد خير الدين، عبد الرؤوف حفظهم الله.

إلى من عرفتهم في الجامعة، وكانوا معي في أجمل اللحظات، إلى من أحببتهم في الله: ***صديقاتي وزميلاتي***

إلى كل الأقارب والأهل وإلى كل من علمني حرفاً، ومن كان له حقاً عليَّ من أساتذة ومعلمين.

إلى طلبة العلوم الإسلامية وأخص بالذكر طلبة علوم القرآن وتفسيره.

إليهم جميعاً أهدي عملي هذا.

أصالة

إهداء

سبحان الله الموجود صاحب الفضل والجود والموجود قبل

موجود، أحمده تعالى أن وفقنا وأعاننا.

أهدي هذا العمل إلى من كانا سببا في وجودي بعد الله تعالى

الوالدين الكريمين

وإلى من قال عنهم ﷻ:

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ **إخوتي الأعزاء**

وإلى كل من أحبهم من قريب أو من بعيد

أقاربي وصديقاتي

وإلى كل من كان له فضل عليا

مشايخي وأساتذتي

وإلى كل من كان له الفضل في إنجاز هذا العمل

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

الشفاء

شكر وعرفان

اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، نحمدك على كل منة منحتنا إياها من غير حول منا ولا قوة، ونسألك ربنا أن تتقبل منا هذا العمل وأن تجعله علما نافعا لنا ولمن بعدنا، ونحمدك ربنا أن كنت لنا نعم السند ونعم النصير.

خالص الشكر والتقدير للأستاذ المشرف الدكتور عباس منصر على موافقته للإشراف على هذا البحث، كما لا ننسى فضله علينا وما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات وملاحظات طيلة العمل، فجزاه الله عنا كل خير.

جزيل الشكر إلى الأساتذة الكرام في قسم العلوم الإسلامية على ما أمدونا به من نصح وإرشاد، خاصة أساتذة تخصص علوم القرآن وتفسيره.

وإلى كل الطلبة والطالبات في معهد العلوم الإسلامية جامعة حمه لخضر بالوادي.

ولكل من ساهم من قريب أو بعيد في هذا البحث لكم منا جزيل الشكر والتقدير.

شكرا...

الملخص

تناول موضوع بحثنا: "**معالجة القرآن الكريم للعادات الجاهلية دراسة موضوعية في سورة الأنعام**"، وإشكالية هذه الدراسة تدور حول الآيات التي بينت معتقدات وعادات أهل الجاهلية في سورة الأنعام وعن الأساليب التي استخدمها لأجل معالجتها.

فقسمنا هذه الدراسة إلى أربعة مباحث؛ فكان عنوان المبحث الأول بين يدي السورة والمبحث الثاني: نبذة عن العادات الجاهلية. والثالث: الدراسة الموضوعية لآيات العادات الجاهلية في سورة الأنعام والبعد الواقعي لها، وأخيرا المبحث الرابع: الأساليب القرآنية في معالجة العادات الجاهلية والبعد الواقعي لها، ونستنتج من هذه الدراسة أن القرآن الكريم جاء بأساليب متنوعة للرد على عادات الجاهلية، وإبطال ما كانوا يعتقدونه سفها بغير علم.

Abstract

Our research topic dealt with:"**The approach of Holy Coran with ignorance habits through Surat Al-Anaam with an objective study**". The problematic of this study is about verses that showed beliefs and habits of ignorants in Surat Al-Anaam and on methods that have been used to treat it. We devided this study into four chapters. The first one was entitled: Between the hands of the Surat. The second chapter: Introduction of ignorance during the pre-islamic period. The third: Objective study about ignorance habits in Surat Al-Anaam. The last and four chapter was about Coranic methods in dealing with ignorance habits.

We concluded this study by the following; The holy Coran came with various methods to respond to the customs of pre-islamic period، and nullified what they foolishly believed with out knowledge.

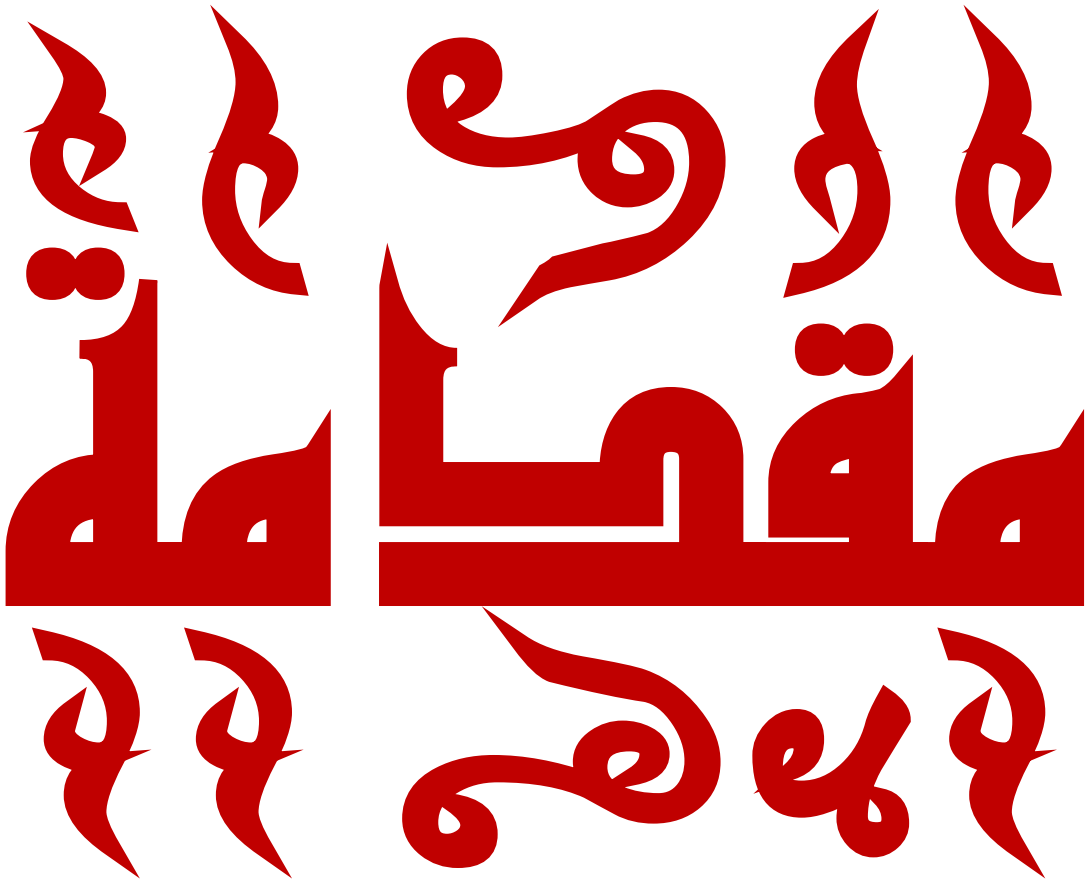
مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونسأله الخير كله ولا نكفره، ونسأله تعالى أن يحبب إلى قلوبنا طاعته وأن يحرمنا لذة معصيته، ونحمده تعالى أن بعث نبيه بالرسالة فأخرجنا من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان من غير حول منا ولا قوة. قال تعالى:

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: 1].

أنزل اللهﷻ القرآن على نبيه محمدﷺ معجزا للكافرين ومثبتا للمؤمنين، فأنزل سورا شتى فكانت معجزة بليغة من حيث المبنى والمعنى، وكان حجة قاطعة لكل من كذب بالرسالة، وقد بينت هذه السور المنزلة من عند الواحد الأحد دستور الإسلام وشرائعه، فكانت منهجا للمؤمنين، فقد بينت لهم الطريق القويم ونهتهم عن كل ما لا يرضاه رب العالمين، وأثبتت ضلال المشركين وخروجهم عن طريق الحق واتباعهم طريق الباطل، فعالج الله سبحانه بكتابه المنزل كل ما شذ وكل ما لا ترضاه الفطرة السليمة والعقل القويم، ومن السور المنزلة على سيد الخلق المصطفى سورة الأنعام وكان الهدف من هذه السورة إصلاح العقيدة وإخراج الناس من تعاليم الجاهلية إلى الصراط القويم ألا وهو دين الإسلام، لذلك كان موضوع مذكرتنا بعنوان: "**معالجة القرآن الكريم للعادات الجاهلية – دراسة موضوعية في سورة الأنعام–** "، لنوضح الآيات التي ذكرت عادات الجاهلية في سورة الأنعام وندرسها دراسة موضوعية ونبين كيف عالج القرآن هذه العادات.

أولا: إشكالية البحث

إن هذا الموضوع الذي يعالج هذه المسألة الهامة يدفعنا لطرح الإشكال الآتي: ما منهج القرآن الكريم في معالجة العادات الجاهلية من خلال سورة الأنعام؟ ويندرج تحت هذا التساؤل جملة من التساؤلات الفرعية:

- ما اسم هذه السورة وما هي أغراضها، فضلها ومقاصدها؟
- ما مفهوم العادات الجاهلية وكيف كان العصر الجاهلي قبل الإسلام؟
- ماهي الآيات التي بينت معتقدات أهل الجاهلية في سورة الأنعام؟
- ما هي الأساليب التي استعملتها هذه السورة لمعالجة عقيدة الجاهلية؟

ثانيا: أسباب اختيار هذا البحث

- الرغبة في التعرف على عقيدة أهل الجاهلية وطريقة معالجة القرآن العظيم لها.
- خدمة لكتاب الله تعالى العزيز ومعرفة آياته وفهم تفسيره وتدبر معانيه.
- طلبا للأجر والثواب من الله عز وجل.
- تذكير وتنبيه مجتمع اليوم الذي انتشرت فيه بعض من عادات الجاهلية القديمة.

ثالثا: أهمية البحث

- بيانه لعقيدة الجاهلية التي يجب على المؤمن معرفتها كي يحذر من الوقوع فيها.
- معرفة منهج القرآن الكريم في التعامل مع العادات الجاهلية.
- إظهار وبيان ما نزل على سيدنا محمدﷺ من حق، وإزهاق ما جاء به المشركون من باطل.

رابعا: أهداف هذه الدراسة

- بيان الأساليب التي اتبعها القرآن في معالجة العادات والمعتقدات الجاهلية من خلال سورة الأنعام.
- دراسة الآيات التي ورد فيها ذكر عادات الجاهلية في سورة الأنعام دراسة موضوعية.
- تقديم عرض موجز لأحوال العرب في جاهليتهم.

خامسا: صعوبات البحث

واجهتنا بعض الصعوبات خلال بحثنا من بينها:

- صعوبة استنباط الأساليب القرآنية من كتب التفسير، لكن بعون الله تعالى وبفضل توجيه المشرف استطعنا تجاوز هذا الأمر.

سادسا: الدراسات السابقة حول هذا الموضوع

بعد الاطلاع والبحث حول هذا الموضوع وجدنا بعض الدراسات السابقة التي عنت بدراسته في بعض جوانبه، والتي ساعدتنا كثيرا في انجاز هذا البحث، وفهم موضوعه بشكل جيد وأيضا في وضع الخطة. وهذه الدراسات هي:

- عادات أهل الجاهلية وموقف القرآن الكريم منها من إعداد ابتسام بنت بدر بن عوض الجابري. بحث مقدم إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات للحصول على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن؛ تتوافق هذه المذكرة مع بحثنا في أنها تناولت عادات الجاهلية بالدراسة وتختلف معنا في كونها تناولت هذا الموضوع بصفة عامة ونحن اكتفينا بالعادات الموجودة في سورة الأنعام، وتختلف أيضا في كونها بيَّنت موقف الشرع من تلك العادات من خلال ذكر آيات قرآنية، أما عنا فقد قمنا باستخراج الأساليب التي استعملها القرآن من أجل معالجتها.
- المنهاج القرآني في التعامل مع عادات جاهلية، من إعداد ندى بنت حسين اليهري. مذكرة للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر. تتفق هذه الرسالة مع موضوعنا في كونها درست العادات الجاهلية وذكرت الأساليب التي استعملها القرآن الكريم لمعالجة هذه العادات، غير أنها اختلفت مع دراستنا في أنها تناولت عادات أخرى جاءت في القرآن الكريم غير التي تناولناها، إضافة إلى ذلك أنها أوردت الملامح المنهجية في التعامل مع العادات الجاهلية، وقد ساعدتنا في استنتاج الأساليب القرآنية.

- نقد القرآن الكريم للتشريعات الجاهلية من خلال سورتي النساء والأنعام من إعداد إيمان إبراهيم النتشة. مذكرة للحصول على درجة الماجستير في أصول الدين فرع التفسير بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل. اتفقت هذه الدراسة مع موضوع بحثنا في كونها عرفت سورة الأنعام وذكرت العادات الجاهلية التي حوتها هذه السورة، والفرق بينها وبين ما درسناه أنها اشتملت على التعريف بسورة النساء وذكرت العادات الجاهلية التي وردت فيها وبينت موقف القرآن منها.

بالإضافة إلى أننا استعنا ببعض المقالات على شبكة الأنترنت في جمع المصادر والمراجع وهي:

- القتال في الإسلام، د.رشد كهوس، شبكة الألوكة.
- من ضوابط التفسير: الإلمام بعادات العرب في الجاهلية، د.إبراهيم بن علي الحكمي، ملتقى أهل التفسير.

سابعا: منهج البحث

اتبعنا في انجاز البحث المنهج الوصفي ويتجلى في المبحث الأول والثاني، واستعملنا المنهج الاستقرائي وذلك باستقراء الكثير من الكتب التي أفادتنا في موضوعنا، واعتمدنا المنهج الاستنباطي في استنباط الأساليب المستعملة في سورة الأنعام من كتب التفسير.

ثامنا: المصادر والمراجع

من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها:

- الطبري، جامع البيان.
- ابن عاشور، التحرير والتنوير.
- سيد قطب، في ظلال القرآن.

- مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.
- جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية.

تاسعا: منهجية البحث

- تخريج الآيات يكون في المتن بالطريقة الآتية "اسم السورة: رقم الآية" وقمنا بكتابتها بالرسم العثماني من مصحف المدينة.
- تخريج الأحاديث يكون في الهامش: ذكر المصنف، اسم الكتاب، الكتاب الذي صنف فيه الحديث إن وجد، عنوان الباب، رقم الحديث، الجزء والصفحة.
- ترجمة الأعلام: لم نترجم لكل الأعلام بل لبعضهم فقط.
- توثيق المعلومات عند ذكر المصدر أو المرجع يكون بالطريقة التالية: اسم الكاتب، اسم الكتاب، التحقيق إن وجد، الطبعة إن وجدت، دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر إن وجد، الجزء والصفحة.
- عند استعمال الكتاب في موضعين متتاليين لا يفصل بينهما استعمال كتاب آخر، فإننا نورد العبارة الآتية: المصدر أو المرجع نفسه، مع ذكر: اسم الكاتب، اسم الكتاب، الجزء إن وجد، والصفحة. هذا إذا كان الاستعمالان في الصفحة نفسها، أما إذا كان الأول في صفحة، والثاني في أخرى، فإننا نقول: مصدر أو مرجع سابق مع ذكر: اسم الكاتب، اسم الكتاب، الجزء إن وجد، والصفحة.
- قمنا بشرح بعض المصطلحات الغريبة بالاعتماد على كتب التعاريف.
- حاولنا جاهدين في عزو كل قول قائل من كتابه وذلك حرصا منا على الأمانة العلمية.
- استعملنا بعض الرموز: م: للتاريخ الميلادي، هـ: للتاريخ الهجري، الخ: إلى آخره، ص: الصفحة، مج: مجلد.

عاشراً: شرح الخطة

بعد البحث المتواصل في هذا الموضوع اتضحت لنا الخطة الآتية المتكونة من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فاشتملت على النقاط الآتية: إشكالية البحث، أسباب اختياره، أهميته، أهدافه، الصعوبات، الدراسات السابقة حول الموضوع، المنهج المتبع، المراجع والمصادر، منهجية البحث، وأخيرا شرح الخطة.

والبحث فقد تضمن أربعة مباحث فكان المبحث الأول بعنوان: بين يدي سورة الأنعام. ويندرج تحته مطالب وهي: المطلب الأول التعريف بسورة الأنعام. أما المطلب الثاني محورها، المطلب الثالث فضلها، المطلب الرابع أغراضها ومقاصدها والمطلب الخامس: مناسباتها. أما المبحث الثاني بعنوان: نبذة عن العادات الجاهلية. ويشتمل على ستة مطالب وهي: المطلب الأول تعريف العادات الجاهلية، المطلب الثاني الجاهلية عبر التاريخ، المطلب الثالث أنواع الجاهلية، المطلب الرابع أهمية الإلمام بعادات العرب في الجاهلية، المطلب الخامس: وصف عام لأحوال العرب في الجاهلية، المطلب السادس: موقف الإسلام من العادات الجاهلية. أما المبحث الثالث بعنوان: الدراسة الموضوعية لآيات العادات الجاهلية في سورة الأنعام والبعد الواقعي لها. وينقسم إلى ستة مطالب وهي: المطلب الأول عادة أهل الجاهلية في تكذيب الرسل، المطلب الثاني عقائد أهل الجاهلية في الإشراك بغير الله، المطلب الثالث عادات أهل الجاهلية في الزروع والثمار، المطلب الرابع عقائد أهل الجاهلية في الأنعام، المطلب الخامس عادة أهل الجاهلية في قتل الأولاد ووأد البنات، والمطلب السادس: البعد الواقعي. والمبحث الرابع بعنوان: الأساليب القرآنية في معالجة العادات الجاهلية والبعد الواقعي لها. ويتكون من ستة مطالب: فكان المطلب الأول أسلوب الأمر والنهي، المطلب الثاني أسلوب الجدال، المطلب

الثالث أسلوب الترغيب والترهيب، المطلب الرابع أسلوب الاستفهام الإنكاري، المطلب الخامس أسلوب القصص القرآني، والمطلب السادس: البعد الواقعي.

وختمنا موضوعنا بخاتمة احتوت على أهم النتائج المتحصل عليها وأهم التوصيات التي نوصي بها. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: بين يدي سورة الأنعام

لكل سورة من سور القرآن الكريم مميزات وأهداف، فنجد سورة الأنعام التي نحن بصدد دراستها لها الكثير من المميزات والخصائص. وتضمن هذا المبحث التعريف بالسورة وذكر سبب نزولها ومحورها، فضلها، أغراضها، مقاصدها، ومناسباتها في خمسة مطالب كالتالي:

- **المطلب الأول: التعريف بسورة الأنعام**
- **المطلب الثاني: محورها**
- **المطلب الثالث: فضلها**
- **المطلب الرابع: أغراضها ومقاصدها**
- **المطلب الخامس: مناسباتها**

المطلب الأول: التعريف بسورة الأنعام

الفرع الأول: اسم السورة

تسمى سورة الأنعام وليس لهذه السورة إلا هذا الاسم من عهد رسول اللهﷺ.روى الطبراني بسنده إلى عبد الله بن عمر: قال رسول اللهﷺ: «**نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَيِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ**».(1)

وورد عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأسماء بنت يزيد بن السكن، تسميتها في كلامهم سورة الأنعام. وكذلك ثبتت تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة.(2)

وجه التسمية:

سميت بسورة الأنعام لورود ذكر الأنعام فيها قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا...﴾[الأنعام:136] ولأن أكثر أحكامها الموضحة لجهالات المشركين تقربا بها إلى أصنامهم مذكور فيها، ومن خصائصها،(3) ما روي عن رسول اللهﷺ: «**نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا مَوْكِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَدَّ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ، وَالْأَرْضُ بِهِمْ تَرْتَجُّ وَرَسُولُ اللهﷺ يَقُولُ: " سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ"**».(4)

---

(1)رواه الطبراني في المعجم الصغير، باب: من اسمه ابراهيم، حديث رقم:220، 145/1.

(2)ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984هـ، 121/7.

(3) الصابوني، صفوة التفاسير، ط1، 2009م-1431هـ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، مج 349/1.

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان، كتاب تعظيم القرآن، باب ذكر السبع الطوال، حديث رقم: 2210، 79/4.

الفرع الثاني: مكان وسبب النزول

نزلت بمكة جملة ليلا معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين،[1] لاشتمالها على أصول الاعتقاد، روى ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَيِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ**»[2]

والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين. ولكن لا مانع من أن يكون بعض آياتها مدنيا، ثم أمر النبي ﷺ بوضعه في موضعه من السورة.[3] وخبر تشييع الملائكة لها رواه جمع من المحدثين إلا أن منهم من روى أن المشيعين سبعون ألفا ومنهم من روى أنهم كانوا أقل ومنهم من روى أنهم كانوا أكثر.[4]

الفرع الثالث: عدد آياتها وترتيبها

لم يختلف العلماء في عدد آيات سورة الأنعام ولا في ترتيبها وقد قال بذلك مجموعة من العلماء من بينهم: الثعلبي[5]، الزمخشري[6].

سورة الأنعام عدد آياتها خمس وستون ومائة آية وهي أول سورة مكية من طوال المفصل بالنسبة لترتيب المصحف، وتعتبر بالنسبة لهذا الترتيب السورة السادسة، فقد سبقتها سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وهي سور مدنية باستثناء سورة الفاتحة.

---

(1)البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، 1420 هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 107/2.

(2) مصدر سابق، رواه الطبراني في المعجم الصغير، باب الألف من اسمه ابراهيم، حديث رقم:220، 145/1.

(3)الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، 1418 هـ، دار الفكر المعاصر، دمشق، 126/7.

(4)الألوسي، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، ت: يوسف بن محمد السعيد، ط1، 1425هـ-2004م، دار المجد للنشر والتوزيع، 72/4.

(5) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط1، 1422هـ-2002م، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 3/2.

(6)الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، 131/4.

أما ترتيبها في النزول فقد قال العلماء: إنها السورة السادسة والخمسون، وإن نزولها كان بعد نزول سورة «الحجر».

ويغلب على الظن أن نزول سورة الأنعام كان في السنة الرابعة من البعثة النبوية الشريفة، وذلك لأن سورة الحجر التي نزلت قبلها فيها آية تأمر النبيﷺ بأن يجهر بدعوته وهي قوله تعالى:

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر:94].

ومن المعروف تاريخيا أن النبيﷺ مكث يدعو الناس سرا إلى عبادة الله زهاء ثلاث سنين، ثم بدأت مرحلة الجهر بالدعوة في السنة الرابعة من البعثة بعد أن أمره الله بأن يصدع بما يؤمر به، أي: يجهر بما يكلف بتبليغه للناس، مأخوذ من صدع بالحجة إذا جهر بها.[1]

المطلب الثاني: محورها

هذه السورة مكية من القرآن المكي القرآن الذي ظل يتنزل على رسول اللهﷺ ثلاثة عشر عاما كاملة، يحدثه فيها عن قضية واحدة. قضية واحدة لا تتغير، ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر. ذلك أن الأسلوب القرآني يدعها في كل عرض جديدة، حتى لكأنما يطرقها للمرة الأولى! لقد كان يعالج القضية الأولى، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية، في هذا الدين الجديد، «قضية العقيدة» ممثلة في قاعدتها الرئيسية... الألوهية والعبودية، وما بينهما من علاقة،[2] وهي تختلف في أهدافها ومقاصدها عن السور المدنية: كالبقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة، فهي لم تعرض لشيء من الأحكام التنظيمية لجماعة المسلمين، كالصوم والحج والعقوبات وأحكام الأسرة، ولم تذكر أمور القتال ومحاربة الخارجين على دعوة الإسلام، كما لم تتحدث عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا على المنافقين، وإنما تناولت القضايا الكبرى

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، 5/5.
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط17،1412هـ، دار الشروق –بيروت–القاهرة، 1004/2.

الأساسية لأصول العقيدة والإيمان، وهذه القضايا يمكن تلخيصها فيما يلي: قضية الألوهية، قضية الوحي والرسالة، قضية البعث والجزاء.

نجد الحديث في هذه السورة مستفيضا يدور بشدة حول هذه الأصول الأساسية للدعوة الإسلامية، ونجد سلاحها في ذلك الحجة الدامغة، والدلائل الباهرة، والبرهان القاطع في طريق الإلزام والإقناع لأن السورة نزلت في مكة على قوم مشركين. ومما يلفت النظر في السورة الكريمة أنها عرضت لأسلوبين بارزين لا نكاد نجدهما بهذه الكثرة في غيرها من السور هما: أسلوب التقرير وأسلوب التلقين.

أما الأول: أسلوب التقرير فإن القرآن يعرض الأدلة المتعلقة بتوحيد الله والدلائل المنصوبة على وجوده وقدرته، وسلطانه وقهره، في سورة الشأن المسلَّم، ويضع لذلك ضمير الغائب عن الحس الحاضر في القلب الذي لا يمارى فيه قلب سليم ولا عقل راشد في أنه تعالى المبدع للكائنات صاحب الفضل والإنعام فيأتي بعبارة «هو» الدالة على الخالق المدير الحكيم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾[الأنعام: 2]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾[الأنعام:60]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام:18]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾[الأنعام:73]...إلخ.[1]

وأما أسلوب التلقين: فهو إيراد الحجج بتعليمها الرسولﷺ وتلقينها إياه لعرضها على الخصوم، وذلك بطريق السؤال والجواب، مثل قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ ... ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام:12]، ﴿قُلۡ أَىُّ شَىۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِى وَبَيۡنَكُمۡ﴾[الأنعام:19]، ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۦٓ﴾[الأنعام:46]، ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الأنعام:37].[2]

---

(1) مرجع سابق، الصابوني، صفوة التفاسير، ص348-349.

(2) مرجع سابق، الزحيلي، التفسير المنير، 127/7.

المطلب الثالث: فضلها

وردت أحاديث كثيرة تبين فضل هذه السورة منها:

1- عن ابن عباس، قالﷺ: «**نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ لَيْلًا جُمْلَةً قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى: بِمَكَّةَ لَيْلًا وَحَوْلُهَا سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ يَجْأَرُونَ بِالتَّسْبِيحِ**» لم يرو هذا الحديث عن أبي سهيل نافع بن مالك إلا عمر بن طلحة، ولا عن عمر بن طلحة إلا ابن أبي فديك،[1] تفرد به أحمد بن محمد السالمي[2].[3]

2- عن عمرَ، قالﷺ: «**الْأَنْعَامُ مِنْ نَوَاجِبِ الْقُرْآنِ**»[4] قال ابن كثير صحيح.[5]

عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: «**نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا كَوْكَبَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، تَسُدُّ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ، لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، وَالْأَرْضِ تَرْتَجُّ**»، **وَرَسُولُ اللَّهِﷺ يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»[6].

---

(1) أبي فديك هو: محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك الديلي، مولاهم، المدني، أبو إسماعيل، قال الإمام ابن حنبل لا بأس به، ينظر: أبو المعاطي النوري وآخرون، موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، ط1، 1417هـ - 1997 م، عالم الكتب، 3/ 241، وأبو يوسف، المعرفة والتاريخ، ت: أكرم ضياء العمري، ط2، 1401هـ-1981م، مؤسسة الرسالة، بيروت، 165/2.

(2)السالمي هو: حصين بن محمد السالمي، روى حديثا مرسلا، فذكره بعضهم في الصّحابة. وروى عنه الزهريّ. وذكره البخاريّ وابن أبي حاتم وابن حبّان في التابعين، ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط1-1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، 180/2.

(3) رواه ابن الضريس في فضائل القرآن، باب فضل سورة الأنعام، حديث رقم:196، ص94.

(4) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور، حديث رقم: 3444، 2141/4. ورواه المتقي الهندي في كنز العمال، كتاب الأذكار من قسم الأفعال من حرف الهمزة، باب في القرآن، حديث رقم: 468، 5/2.

(5) ابن كثير، مسند الفاروق، ت: إمام بن علي بن إمام، ط1، 1430هـ-2009م، دار الفلاح، الفيوم – مصر، 517/2.

(6) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الميم من اسمه محمد، حديث رقم: 6447، 292/6.

3- عن جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ، ثم قال: «**لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأُفُقَ**» هذا حديث صحيح على شرط مسلم.(1)

4- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ﷺ: «**إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ العَرَبِ، فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلاَثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ... ﴿١٤٠﴾﴾** [الأنعام: 140] **إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾** [الأنعام: 140]».(2)

5- عن عبد الله، قال ﷺ: **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴿١٥١﴾﴾** [الأنعام:151]- **الآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ -** ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف:171].(3)

6- وورد حديث في فضلها مع سورة هود(4): قال ﷺ: سمعت كعبا، قال: «**فَاتِحَةُ التَّوْرَاةِ الْأَنْعَامُ، وَخَاتِمَتُهَا هُودٌ**» إسناده صحيح إلى عمر رضي الله عنه وهو موقوف عليه.(5)

7- وكذلك من فضلها أنها من سور ربع القرآن التي افتتحت بالحمد. فأول القرآن سورة الْحَمْدُ، وهذه للربع الثاني، والكهف للربع الثالث، وسبأ وفاطر للربع الرابع.(6)

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام، حديث رقم: 3226، 344/2.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب جهل العرب، 184/4.

(3) رواه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب زمن سورة الأنعام، حديث رقم:3070، 264/5.

(4) منيرة محمد ناصر الدوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، ط1، 1426هـ، دار ابن الجوزي، ص 191.

(5) مصدر سابق، رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور، حديث رقم:3445، 2141/4.

(6) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص 84.

المطلب الرابع: أغراضها ومقاصدها

الفرع الأول: أغراضها

إن الأغراض الرئيسية التي استهدفتها هذه السورة الكريمة هي تركيز العقائد الأساسية الثلاث التي كان المشركون يومئذ يتنازعون فيها، وهذه العقائد الأساسية هي:

أولاً: توحيد الله. ويتصل بهذا إقامة الدليل على وحدة الألوهية، بلفت النظر إلى آثار الربوبية، وإلى صفات الله الخالق المتصرف، كما يتصل بها إبطال عقيدة الشرك، وشبهات المشركين، وتقرير أن العبادة والتوجه والتحريم والتحليل، إنما ترجع إلى الله.

ثانياً: الإيمان برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل، وبيان وظيفة هذا الرسول ورد الشبهات التي تثار حول الوحي والرسالة.

ثالثاً: الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب وجزاء.[1]

يقول ابن عاشور في بيان أغراض هذه السورة: أنها ابتدأت بإشعار الناس بأن حق الحمد ليس إلا لله لأنه مبدع العوالم جواهر وأعراضا فعلم أنه المتفرد بالإلهية. وإبطال تأثير الشركاء من الأصنام والجن بإثبات أنه المتفرد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق الإنسان ونظام حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه، ولا تملك آلهتهم تصرفا ولا علما. وتنزيه الله عن الولد والصاحبة. وموعظة المعرضين عن آيات القرآن والمكذبين بالدين الحق، وتهديدهم بأن يحل بهم ما حل بالقرون المكذبين من قبلهم والكافرين بنعم الله تعالى، وأنهم ما يضرون بالإنكار إلا أنفسهم. ووعيدهم بما سيلقون عند نزع أرواحهم، ثم عند البعث.[2]

---

(1) محمود شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ط1 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1396هـ-1976م، مصر-القاهرة، ص 78-79.

(2) مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 7/ 123.

الفرع الثاني: مقاصدها

مقصود السورة هو الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد بأنه سبحانه الحائز لجميع الكمالات، من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره. وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد: الأنعام. لأن الإذن فيها مسبَّب في قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ... ﴿١١٨﴾﴾ [الأنعام:118]،عما ثبت له من الفلق، والتفرد بالخلق، وتضمن باقي ذكرها إبطال ما اتخذوه من أمرها دينا، لأنه لم يأذن فيه، ولا إذن لأحد معه، لأنه المتوحد بالألوهية، لا شريك له، وحصر المحرمات من المطاعم التي جلّها في هذا الدين وغيره. فدل ذلك على إحاطة علمه اللازم عنه شمول القدرة، وسائر الكمالات، وذلك عين مقصودها.[1]

إذن فمقصود السّورة على سبيل الإجمال، ما اشتمل على ذكره: من تخليق السّماوات والأَرض، وتقدير النُّور والظلمة، وقضاءِ آجال الخَلْق، والرّد على منكِرى النبوّة، وذكر إنكار الكفَّار في القيامة، وتمنّيهم الرّجوع إلى الدّنيا، وذكر تسلية الرسولﷺ عن تكذيب المكذِّبين، وإلزام الحجّة على الكفار، والنَّهى عن إيذاءِ الفقراءِ، واستعجال الكفَّار بالعذاب، واختصاص الحقّ تعالى بالعلم المغيّب، وقهره، وغلبته على المخلوقات، والنَّهى عن مجالسة النَّاقضين ومؤانستِهم، وإثبات البعث والقيامة، وولادة الخليلعليه السلام، وعرْض الملَكوت عليه، واستدلاله، حال خروجه من الغار، ووقوع نظره على الكواكب، والشمس، والقمر، ومناظرة قومه، وشكاية أَهل الكتاب، وذكرهم حالة النزع، وفى القيامة، وإظهار بُرْهان التَّوحيد ببيان البدائع والصّنَائع، والأَمر بالإعراض عن المشركين، والنَّهى عن سبِّ الأَصنام، وعُبّادها، ومبالغة الكفَّار في الطّغيان، والنَّهى عن أَكل ذبائح الكفَّار، ومناظرة الكفار، ومحاورتهم في القيامة، وبيان شَرْع عَمْرو بن لُحىّ في الأَنعام بالحلال والحرام، وتفصيل محرّمات الشريعة الإسلامية، ومُحْكَمَات آيات القرآن، والأَوامر والنَّواهي من قوله تعالى:

(1) إبراهيم البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط1، 1408هـ- 1987م، مكتبة المعارف، الرياض، 118/2.

﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾[الأنعام:151] إلى آخر ثلاث آيات، وظهور أَمارات القيامة، وعلاماتها في الزَّمن الأَخير، وذكر جزاءِ الإِحسان الواحد بعشرة، وشكر الرّسول على تبرّيه من الشرك، والمشركين، ورجوعه إلى الحق في مَحياه ومَمَاته، وذكر خلافة الخلائق، وتفاوت درجاتهم، وختم السّورة بذكر سرعة عقوبة الله لمستحِقّيها، ورحمته، ومغفرته لمستوجبيها، بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾[الأنعام:165].[1]

المطلب الخامس: المناسبات في سورة الأنعام

الفرع الأول: المناسبة بين اسم السورة ومحورها

تدور السورة الكريمة حول دحض شبهات وأباطيل المشركين في العقيدة والأحكام وبيان جهلهم وسفههم، والذي تجلى واضحا في مواقفهم المتناقضة في شأن الأنعام من تحليلٍ وتحريمٍ حسب أهوائهم وأوهامهم.

من هنا يظهر الارتباط بين اسم السورة ومحورها، حيث أوردت السورةُ الكريمةُ صورا ومشاهدَ لما عليه المشركون من جهلٍ وضلالٍ، وشركٍ في العقيدةِ والأحكام والسلوك، وقد تمثل ذلك في موقفهم من الأنعام، فمع كونهم يقرون بأن الله تعالى هم الخالق الرزاق إلا أنهم يحرمون ما أحل الله افتراءً عليه.[2]

الفرع الثاني: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها

- بدأت السورة الكريمة ببيان تفرده تعالى بالحمد وانتهت السورة ببيان تفرده تعالى بالوحدانية فلا رب غيره ولا معبود سواه.

---

(1)مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ - 1996م، 187/1.

(2)مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ط1، 1431هـ-2010م، 399/2.

- استهلت السورة الكريمة بالحديث عن نعمة الإيجاد الأول "المبدأ" قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾[الأنعام:1-2]، واختتمت السورة بتقرير نعمة الإيجاد الثاني "المعاد" قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:164-165].

- في مطلع السور إشارة إلى نعمة الخلق، وفي خاتمتها إشارة إلى نعمة الاستخلاف في الأرض، وبيان للحكمة من هذا الاستخلاف وهو الابتلاء.

- وفي مطلع السورة حديث عن إحاطة علمه تعالى بأحوال عباده وأعمالهم قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام:3] وفي خاتمتها بيان لمصير الخلق إلى ربهم لينبئهم بما عملوا ويجازيهم بما كسبوا.[1]

الفرع الثالث: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ لما ذكر في آخر المائدة ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:120] على سبيل الإجمال، افتتح جل شأنه هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله. فبدأ، بذكر: أنه خلق السموات والأرض، وضم إليه أنه جعل الظلمات والنور، وهو بعض ما تضمنه قوله: ﴿وَمَا فِيهِنَّ ۚ﴾[المائدة:120] في آخر المائدة. وضمن قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الأنعام:1] في أول الأنعام أن له ملك جميع المحامد، وهو من بسط ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ﴾ [المائدة:120] في آخر المائدة. ثم ذكر: أنه خلق النوع

(1)مرجع سابق، مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، 2/399-400.

الإنساني، وقضى له أجلاً مسمى، وجعل له أجلاً آخر للبعث، وأنه منشئ القرون قرنا بعد قرن.[1]

كان ختام السورة السابقة إثبات سلطان الله تعالى الكامل، وقدرته الشاملة، وأنه لَا يعجزه شيء في السماء ولا في الأرض، إذ قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:120].وفي هذه الآية يبين سبحانه السبب في كمال سلطانه، والمظهر الأعظم لكمال قدرته، وهو خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان، فإن هذا من أسباب السلطان الكامل على السماوات والأرض ومن فيهن، وهو مظهر كامل لكمال قدرته ﷻ[2]، وهذا قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام:1].

الفرع الرابع: المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها

تتجلى هذه المناسبة عند تناول هذه المقاطع والتدبر فيها حيث تدور جميعها حول المحور العام لهذه السورة الكريمة وهو تقرير العقيدة الصحيحة وإبطال ما عليه أهل الشرك من زيغ وانحراف وجهل وضلال، وذلك من خلال الحجج الساطعة والأدلة المتتابعة التي اشتملت عليها السورة، وبيان أسباب إعراض المشركين وصدودهم عن الحق.[3]

(1)الحافظ جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ت: عبد القادر أحمد عطا، ط1، 1406هـ-1986م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص83.

(2)أبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، 5/ 2429.

(3)مرجع سابق، مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، 401/2.

الفرع الخامس: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها

- في سورة المائدة محاجة أهل الكتاب وفي سورة الأنعام محاجة المشركين.
- سورة المائدة ذكرت المحرمات بالتفصيل لأنها من آخر القرآن نزولاً، وسورة الأنعام ذكرت ذلك جملة.[1]

الفرع السادس: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما بعدها

سورة الأنعام تعالج العقيدة في ذاتها وتعرض موضوع العقيدة وحقيقتها وتواجه الجاهلية العربية في حينها وكل جاهلية أخرى كذلك مواجهة صاحب الحق الذي يصدع بالحق وتستصحب معها في هذه المواجهة تلك المؤثرات العميقة العنيفة، أما سورة الأعراف وهي تعالج موضوع العقيدة كذلك تأخذ طريقا آخر، وتعرض موضوعها في مجال آخر إنها تعرضه في مجال التاريخ البشري في مجال رحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والملأ الأعلى، وعائدة إلى النقطة التي انطلقت منها وفي هذا المدى المتطاول تعرض موكب الإيمان من لدن آدمﷺ إلى محمد عليه الصلاة والسلام تعرض هذا الموكب الكريم يحمل هذه العقيدة ويمضي بها على مدار التاريخ. يواجه بها البشرية جيلا بعد جيل، وقبيلا بعد قبيل.[2]

(1)محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، ط10، 1413هـ، دار الجيل الجديد، بيروت، 584/1.
(2) مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، 1244/3.

ملخص المبحث:

كانت هذه عبارة عن جولة في ثنايا سورة الأنعام وهي سورة مكية تخللتها بعض الآيات المدنيات، وهي السورة السادسة في ترتيب المصحف وعدد آياتها خمس وستون ومائة آية، وليس لهذه السورة غير هذا الاسم الذي سميت به، وأهم ما يميزها عن باقي السورة الأخرى أنها نزلت جملة واحدة على سيدنا محمدﷺ وشيعها كوكبة من الملائكة، وقد تناولت هذه السورة الكريمة العقائد الأساسية وهي الألوهية؛ الوحي والرسالة والبعث والجزاء، ويدور محور السورة حول إنكار وإبطال شبهات المشركين وبيان جهلهم فيما أحلوه وحرموه من أهواء أنفسهم، كما أنها اشتملت على أغراض ومقاصد وأحاديث كثيرة دلت على فضلها، وأخيرا وقفنا على مناسبات هذه السورة الفضيلة.

المبحث الثاني: نبذة عن العادات الجاهلية

سنتناول في هذا المبحث بعض الأمور المتعلقة بالجاهلية من تعريفها وتاريخها وأنواعها وأهمية المعرفة بها وحالة العرب في العصر الجاهلي وأخيرا كيف كان موقف الشرع من العادات الجاهلية.

- **المطلب الأول: تعريف العادات الجاهلية**
- **المطلب الثاني: الجاهلية عبر التاريخ**
- **المطلب الثالث: أنواع الجاهلية**
- **المطلب الرابع: أهمية الإلمام بعادات العرب في الجاهلية**
- **المطلب الخامس: وصف عام لأحوال العرب في الجاهلية**
- **المطلب السادس: موقف الشرع من العادات الجاهلية**

المطلب الأول: تعريف العادات الجاهلية

الفرع الأول: تعريف العادةُ

لغة: مادة: (عَوَدَ): العين والواو والدال أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تثنية في الأمر، والآخر جنس من الخشب. ويقال للمواظب على الشيء: المعاود.[1] وهي اسم لتكرير الفعل والانفعال حتى يصير ذلك سهلا تعاطيه كالطّبع، ولذلك قيل: العَادَةُ طبيعة ثانية.[2]

اصطلاحا: العادة ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى.[3]

الفرع الثاني: تعريف الجاهلية

لغة: ج هـ ل: (الجهل) ضد العلم و (تجاهل) أرى من نفسه ذلك وليس به. و(استجهله) عده جاهلا واستخفه أيضا،[4] وجهل على غيره سفه وأخطأ وجهل الحق أضاعه فهو جاهل وجهول وجهلته بالتثقيل نسبته إلى الجهل.[5]

اصطلاحا: وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام؛ من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك.[6]

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،1399هـ -1979م، 4/181-182.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، ط1، 1412هـ، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ص593-594.

(3) الجرجاني، التعريفات، ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، 1403هـ -1983م، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ص146.

(4) الرازي، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت – صيدا، 1420هـ -1999م، ص63.

(5) أبو العباس الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، 1/113.

(6) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوي -محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ-1979م، 1/323.

عرفت أيضا أنها: هي عبودية الناس للناس بتشريع بعض الناس للناس ما لم يأذن به الله، كائنة ما كانت الصورة التي يتم بها هذا التشريع.[1]

الفرع الثالث: تعريف العادات الجاهلية

من خلال تعريف مصطلح العادة ومصطلح الجاهلية يمكننا تعريف العادات الجاهلية كمركب إضافي فنقول:هي تلك الأفعال التي كانت تقوم بها العرب عن جهل قبل الإسلام، سواء كانت في العبادات أو العادات.

المطلب الثاني: الجاهلية عبر التاريخ

والجاهلية تقوم ابتداء على أساس من دينونة العباد للعباد ومن تأليه غير اللّه. أو من ربوبية غير اللّه وكلاهما سواء في إنشاء الجاهلية فسواء كان الاعتقاد قائما على تعدد الآلهة أو كان قائما على توحيد الإله مع تعدد الأرباب أي المتسلطين فهو ينشئ الجاهلية بكل خصائصها الثانوية الأخرى ودعوة الرسل إنما تقوم على توحيد اللّه وتنحية الأرباب الزائفة، وإخلاص الدين للّه أي إخلاص الدينونة للّه وإفراده سبحانه بالربوبية، أي الحاكمية والسلطان ومن ثم تصطدم اصطداما مباشرا بالقاعدة التي تقوم عليها الجاهلية وتصبح بذاتها خطرا على وجود الجاهلية. وبخاصة حين تتمثل دعوة الإسلام في تجمع خاص، يأخذ أفراده من التجمع الجاهلي وينفصل بهم عن الجاهلية من ناحية الاعتقاد، ومن ناحية القيادة، ومن ناحية الولاء الأمر الذي لا بد منه للدعوة الإسلامية في كل مكان وفي كل زمان وعند ما يشعر التجمع الجاهلي بوصفه كيانا عضويا واحدا متساندا بالخطر الذي يتهدد قاعدة وجوده من الناحية الاعتقادية كما يتهدد وجوده ذاته بتمثل الاعتقاد الإسلامي في تجمع آخر منفصل عنه ومواجه له. فعندئذ يسفر التجمع الجاهلي عن حقيقة موقفه تجاه دعوة الإسلام، إنها المعركة بين وجودين لا يمكن أن

(1) علي بن نايف الشحوذ، القرآن الكريم في مواجهة الجاهلية، ط1، 1431هـ-2010 م، ص7.

يكون بينهما تعايش أو سلام، المعركة بين تجمعين عضويين كل منهما يقوم على قاعدة مناقضة تماما للقاعدة التي يقوم عليها التجمع الآخر. فالتجمع الجاهلي يقوم على قاعدة تعدد الآلهة، أو تعدد الأرباب، ومن ثم يدين فيه العباد للعباد. والتجمع الإسلامي يقوم على قاعدة وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية ومن ثم لا يمكن فيه دينونة العباد للعباد.[1]

المطلب الثالث: أنواع الجاهلية

تنوع الجاهلية أنواعا بحسب اعتبارات مختلفة، وإليك بعض أنواعها:

أولا: أنواعها من حيث الإطلاق والتقييد:

تتنوع الجاهلية من حيث الإطلاق والتقييد نوعين:

النوع الأول: جاهلية مطلقة، وهي الجاهلية العامة، وهذه كانت قبل مبعث النبيﷺ، أما بعد المبعث فلا، وذلك لقولهﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**».[2]

أما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمدﷺ فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة.[3] ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:33] وقول حذيفةرضي الله عنه: «**إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ**».[4]

---

(1) مرجع سابق، علي بن نايف الشحوذ، القرآن الكريم في مواجهة الجاهلية، ص 124/123.

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأمارة، باب قولهﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، حديث رقم:53، 1523/3.

(3)ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ت: ناصر عبد الكريم العقل، ط7، 1419هـ-1999م، دار عالم الكتب، بيروت-لبنان، 259/1.

(4)مصدر سابق، رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: 3606، 199/4.

النوع الثاني: جاهلية مقيدة، وهي الجاهلية التي تقوم في بعض البلدان، أو ببعض الأشخاص والجماعات. وهذا النوع يكون حتى بعد مبعثهﷺ، أما بعد المبعث فلا،[1] كما قالﷺ: « **أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ**»،[2] ومنه قولهﷺ لأبي ذر: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**».[3]

ثانيا: أنواعها من حيث الفترة الزمنية:

تتنوع الجاهلية من حيث الفترة الزمنية نوعين:

النوع الأول: جاهلية قبل مبعث النبيﷺ، وهذا النوع يطلق عليه بعضهم " الجاهلية الأولى".قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:33]: " هي ما قبل الإسلام ".[4]

النوع الثاني: جاهلية ما بعد مبعثهﷺ.ويطلق عليها بعضهم " الجاهلية الأخرى". والمراد بها: ما شابه فيه الناس بعد مبعث النبيﷺ أهل الجاهلية.[5]

قال ابن جرير–رحمه الله تعالى–: "فإن قال قائل: أو في الإسلام جاهلية حتى يقال عنى بقوله: ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ التي قبل الإسلام، قيل: فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية.[6]

(1)مرجع سابق، الألوسي، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، ص35–36.

(2) مصدر سابق، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم: 934، 2/ 644.

(3) مصدر سابق، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، حديث رقم: 6050، 16/8.

(4) مصدر سابق، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 636/3.

(5) مرجع سابق، الألوسي، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، ص37.

(6) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، 1420هـ–2000م، مؤسسة الرسالة، 261/20.

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى-: ويمكن أن يراد بالجاهلية الأخرى ما يقع في الإسلام من التشبه بأهل الجاهلية بقول أو فعل.[1]

ثالثا: أنواعها من حيث متعلقها:

تتنوع الجاهلية من حيث متعلقها أنواعا كثيرة جدا، يصعب حصرها، فمنها جاهلية المعتقد، ومنها جاهلية الأخلاق، ومنها جاهلية الاقتصاد، ومنها جاهلية الحكم والسياسة، ومنها جاهلية الفن...إلخ.[2] وبالجملة، كل ما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ فهو جاهلية.[3]

رابعا: أنواعها من حيث الحكم

تتنوع الجاهلية من حيث الحكم نوعين:

النوع الأول: جاهلية كفر.[4]ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:154]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:50].

النوع الثاني: جاهلية معصية، وهي ما تكون بترك وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ دون الكفر[5]، وهذه لا يكفر صاحبها.[6]ومن هذا النوع قوله ﷺ لأبي ذر: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» وكذا الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة على الميت.[7]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير، ط1414،1 هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق-بيروت، 320/4.

(2) سيد قطب، جاهلية القرن العشرين، ط1، 1412هـ-1992م، دار الشروق، ص55-98-118-149-184.

(3)عبد الرحمن التميمي،فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ت: محمد حامد الفقي، ط7، 1377هـ/1957م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة-مصر، ص 322.

(4) مرجع سابق، الألوسي، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، ص38.

(5) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة -بيروت، رقم:1379، 85/1.

(6)ينظر: مصدر سابق، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، 15/1.

(7) مرجع سابق، الألوسي، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، ص38.

المطلب الرابع: أهمية الإلمام بالعادات الجاهلية

قال عمر بن الخطابﷺ: "يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية"، فإذا كان الإنسان يجهل أمور الجاهلية فإنه حري أن يقع فيها؛ لأن الشيطان ما نسيها ولا نام عنها، ويدعو إليها".

فالشيطان وأتباعه من دعاة الضلال لا يزالون يدعون إلى الجاهلية، وإلى إحياء أمور الجاهلية، إلى الشركيات والبدع، وإلى الخرافات، وإلى إحياء الآثار، وكل هذا القصد منه: طمس الإسلام، وعودة الناس إلى الجاهلية، فلا بد من دراسة أمور الجاهلية من أجل أن نتجنبها ونبتعد عنها.[1]

قال الشاطبي: "معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثم سبب خاص لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة."[2]

قال محمد فاروق النبهان: "ويشترط لفهم الآية معرفة عادات الجاهلية ".[3]

يقول سليمان العبيد: " على المفسر أن يكون ملما بعادات العرب في الجاهلية مطلعا على أقوالهم، متعرفا على أفعالهم، واقفا على أحوالهم الاجتماعية وحروبهم وتاريخهم وأديانهم. ذلك أننا نجد في القرآن الكريم آيات تتعرض إلى بعض أمورهم، فإذا لم يكن المفسر عارفا

---

(1) صالح بن فوزان، شرح مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب، ط1، 1421هـ -2005م، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ص16.

(2) الشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، 1417هـ/ 1997م، دار ابن عفان،4/ 154.

(3) فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ط1، 1426 هـ -2005 م، دار عالم القرآن – حلب، ص183.

بأحوالهم حالة التنزيل لم يستطع أن يفهم معاني الآيات حق الفهم، ولا أن يدرك أثر القرآن العظيم في تغيير حياتهم، وما كانوا عليه من عادات فاسدة."[1]

المطلب الخامس: أحوال العرب في الجاهلية

الفرع الأول: الحالة الاجتماعية والخلقية

لا شيء أوضح في وصف الحالة الاجتماعية والخلقية من حديث المغيرة بن شعبةﷺ بين يدي يزدجرد:

يقول يزدجرد[2]: "إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم، لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم. فإن كان عدكم قد كثر، فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم، فأسكت القوم. فقام المغيرة بن شعبة فقال: أيها الملك...فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا. وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامنا. وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل، وأشعار الغنم ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، وأن يبغي بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه، وكانت حالتنا قبل اليوم على ما ذكرت لك." [3]

---

(1) سليمان العبيد، تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، ط2، 143هـ-2010م، مكتبة التوبة، الرياض-المملكة العربية السعودية-شارع جرير، ص85.

(2) يزدجرد: هو يزدجرد بن شهريار بن برويز المجوسي الفارسي، كِسْرَى زمانه، المتوفى: 31 هـ، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ت: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط1، 2003 م، دار الغرب الإسلامي، 201/2.

(3) ابن كثر، البداية والنهاية، دار الفكر، 1407هـ-1986م، 49/7.

وقول جعفر بن أبي طالبﷺ بين يدي النجاشي: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف...".[1]

وما رواه أبو داود عن عائشةرضي الله عنها في موضوع النكاح والزنا يضيء جانبا آخر: فعن عروة بن الزبير أن عائشةرضي الله عنها أخبرته أن النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء: « **أَنَّ النِّكَاحَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَكَانَ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ، يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ فَيُصْدِقُهَا، ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا، وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِنْ أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ يُسَمَّى نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ، وَنِكَاحٌ آخَرُ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ دُونَ الْعَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، فَتَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، وَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ، فَتُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ، فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، وَنِكَاحٌ رَابِعٌ يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا وَهُنَّ الْبَغَايَا كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ يَكُنَّ عَلَمًا لِمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ فَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ الْقَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ فَالْتَاطَهُ،**[2] **وَدُعِيَ ابْنَهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًاﷺ هَدَمَ نِكَاحَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ».**[3]

---

(1)ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، 1375هـ-1955م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، 336/1.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة،مادة: (ليطه) ألصقه وَيُقَال ليط الْوَلَد بِأَبِيهِ ألحقهُ بِهِ، 849/2.

(3) رواه أبي داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في وجوه النكاح، حديث رقم:2272، 281/2.

هذا وضع الطعام واللباس والمأوى والنكاح في المجتمع الجاهلي ووضع الحكم كذلك، حيث يبغي بعضهم على بعض ويأكل القوي الضعيف، والعصبية الجاهلية لها الحكم الفصل والتي مثلها ومثلهم المشهور: انصر أخاك ظالما أو مظلوما، والخضوع لأعراف القبيلة وتقاليدها سواء أكانت حسنة أم قبيحة، وكانت أهدافهم لا تعدو ملذاتهم خمر وسيف ونساء.[1]

الفرع الثاني: الحالة الاقتصادية

أما الحالة الاقتصادية، فتبعت الحالة الاجتماعية، ويتضح ذلك إذا نظرنا في طرق معايش العرب. فالتجارة كانت أكبر وسيلة للحصول على حوائج الحياة، والجولة التجارية لا تتيسر إلا إذا ساد الأمن والسلام، وكان ذلك مفقودا في جزيرة العرب إلا في الأشهر الحرم، وهذه هي الشهور التي كانت تعقد فيها أسواق العرب الشهيرة من عكاظ وذي المجاز ومجنة وغيرها.

وأما الصناعات فكانوا أبعد الأمم عنها، ومعظم الصناعات التي كانت توجد في العرب من الحياكة والدباغة وغيرها كانت في أهل اليمن والحيرة، ومشارف الشام، نعم كانت في داخل الجزيرة الزراعة، والحرث، واقتناء الأنعام، وكانت نساء العرب كافة يشتغلن بالغزل، لكن كانت الأمتعة عرضة للحروب، وكان الفقر والجوع والعرى عاما في المجتمع.[2]

الفرع الثالث: الحالة السياسية

كان سكان الجزيرة العربية ينقسمون إلى بدو وحضر، وكان النظام السائد بينهم هو النظام القبلي، حتى في الممالك المتحضرة التي نشأت بالجزيرة، كمملكة اليمن في الجنوب ومملكة الحيرة في الشمال الشرقي، ومملكة الغساسنة في الشمال الغربي، فلم تنصهر الجماعة فيها في شعب واحد، وإنما ظلت القبائل وحدات متماسكة. والقبيلة العربية مجموعة من الناس، تربط بينها وحدة الدم (النسب) ووحدة الجماعة، وفي ظل هذه الرابطة نشأ قانون عرفي ينظم

(1) منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، ط2، 1413هـ-1992م، جامعة أم القرى، ص59.

(2)المباركفوري، الرحيق المختوم، ط1، دار الهلال، بيروت ص 36-37.

العلاقات بين الفرد والجماعة، على أساس من التضامن بينهما في الحقوق والواجبات، وهذا القانون العرفي كانت تتمسك به القبيلة في نظامها السياسي والاجتماعي.[1]

وزعيم القبيلة ترشحه للقيادة منزلته القبلية وصفاته، وخصائصه من شجاعة ومروءة، وكرم ونحوها،[2] ولشيخ القبيلة حقوق أدبية ومادية. فأما الأدبية فأهمها توقيره واحترام شخصه ورأيه[3]، كما أنه له الإمرة العامة على الجند. أما حقوقه المادية، فقد كان له في كل غنيمة تغنمها القبيلة المرباع وهو ربع الغنيمة، والصفايا وهو ما يصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، والنشيطة وهو ما أصيب من مال العدو قبل اللقاء، وكذلك الفضول وهو ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة.[4]

وعليه إزاء هذه الحقوق، واجبات كثيرة ومسؤوليات ضخمة، فهو في السلم جواد كريم، وفي الحرب يتقدم الصفوف، ويعقد الصلح، والمعاهدات. والنظام القبلي تسود فيه الحرية، فقد نشأ العربي في جو طليق، وفي بيئة طليقة، ومن ثم كانت الحرية من أخص خصائص العرب، ويعشقونها ويأبون الضيم والذل وكل فرد في القبيلة ينتصر لها، ويشيد بمفاخرها، وأيامها، وينتصر لكل أفرادها محقًا أو مبطلاً، حتى صار من مبادئهم: «انصر أخاك ظالما، أو مظلومًا». والفرد في القبيلة تبع للجماعة، وقد بلغ من اعتزازهم برأي الجماعة أنه قد تذوب شخصيته في شخصيتها.[5]

---

(1) أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط8، 1427 هـ، دار القلم، دمشق، 1/ 60.

(2)محمد الصَّلاَّبي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ط7، 1429هـ-2008م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ص24.

(3) عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، 1427هـ-2006م، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ص175.

(4)أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسولﷺ، دار الفكر العربي، ص34-35.

(5) مرجع سابق، أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة،61/1.

وكانت كل قبيلة من القبائل العربية لها شخصيتها السياسية، وهي بهذه الشخصية كانت تعقد الأحلاف مع القبائل الأخرى، وبهذه الشخصية أيضًا كانت تشن الحرب عليها، ولعل من أشهر الأحلاف التي عقدت بين القبائل العربية، حلف الفُضُول وحلف المطيّبين، ومن أشهر الحروب الكبرى التي قامت بين القبائل: حرب البَسوس، حرب داحِس والغَبْراء، حروب الفُجّار، كان عدا هذه الحروب الكبرى تقع إغارات فردية بين القبائل تكون أسبابها شخصية أحيانًا، أو طلب العيش أحيانًا أخرى، إذ كان رزق بعض القبائل في كثيرٍ من الأحيان في حدِّ سيوفِها، ولذلك ما كانت القبيلة تأمَن أن تَنْقَضّ عليها قبيلة أخرى في ساعة من ليل أو نهار لتسلب أنعامها ومؤنها، وتدع ديارها بلقعاً.[1]

الفرع الرابع: الحالة الدينية

انتشرت عبادة الأصنام عند العرب حتى ملأت كل فج فيهم. فهذيل بن مدكة اتخذوا سواعا، وكلب بن وبرة اتخذوا ودا بدوحة الجندل، وأنعم من طيىء وأهل جرش من مذحج اتخذوا يغوث الجرش، وخيوان بطن من همدان اتخذوا يعوق، وذو الكلاع من حمير اتخذوا نسرا بأرض حمير، ولبني ملكان صنم اسمه سعد ولقريش هبل صنم على جوف الكعبة. واتخذوا أسافا ونائلة على موضع زمزم، وكان أساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم، فوقع أساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين.[2]

(1) محمد رواس قلعه جي، دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمدﷺ (من خلال سيرته الشريفة)، ط1، 1408هـ-1988م، دار النفائس، بيروت لبنان، ص31-33-35.

(2) مرجع سابق، منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، ص48-49.

قال ابن إسحاق[1]: "واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب. فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره. وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله. فلما بعث الله رسوله محمدا ﷺ بالتوحيد قالت قريش: أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب.وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده."[2]

وكانت اللات لثقيف بالطائف. وكان سدنتها وحجابها بنو معتب من ثقيف.فكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة، وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء بني هاشم. وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر. وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة. وكانت فلس لطيىء ومن يليها بجبلي طيىء. وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رئام. وكان رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب، وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل.

أما اليهودية والنصرانية، فقد انتشرتا على نطاق واسع في اليمن، وفي يثرب كان لليهود تجمع ضخم. وفي خيبر كذلك. ولهم وجود على مستوى فردي في غير هذه الأمكنة. وللنصرانية وجود كذلك عند الغساسنة وقبائل تغلب وطيىء. وأعتنقها بعض ملوك الحيرة.

---

(1)ابن إسحاق: هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الأخباري، العلامة الحافظ، حدث عن بشير بن يسار، وحدث عنه يزيد بن أبي حبيب، توفي 151هـ، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، 1405 هـ -1985م، مؤسسة الرسالة، 33/7.

(2) مصدر سابق، ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، 83/1.

والحنفاء هم الذين كانوا لا يقرون عبادة الأصنام ويؤمنون بالله الواحد الأحد، وبعضهم كان من أهل الكتاب، وبعضهم كان يعتبر نفسه على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وينتظر قدوم نبي يأتيه الوحي من السماء ليتبعه.[1]

الفرع الخامس: الحالة الفكرية

قد يتبادر إلى الذهن أن عرب الجاهلية كانوا أمة منعزلة عن العالم؛ بسبب الوضع الجغرافي لشبه جزيرة العرب، التي تحيط بها الصحاري والبحار من جميع الجهات. غير أن الدراسات الحديثة قد كشفت عن خطأ هذا الاعتقاد، وأثبتت أن العرب لم يكونوا في منأى عن الحضارات الكبرى التي جاورتهم، بل اتصلوا بها وتفاعلوا معها. وكانت صلة الوصل بينهم وبينها، أولًا التجارة، ثم المدنيات العربية التي اضطلعت بها بعض الإمارات العربية المتاخمة لحدود بيزنطة وفارس، كدول الأنباط والغساسنة والمناذرة، أو بواسطة الجاليات المسيحية واليهودية التي استقرت في بعض المدن الحجازية، كيثرب ومكة ونجران.

فقد كان لوقوع مكة والمدينة على طرق القوافل التجارية أثر كبير في ازدياد أهميتهما وارتقائهما فكريا وحضاريا؛ ذلك أن أهلهما قد احتكوا بالأمم المجاورة، واعتنق بعضهم الديانات السماوية كاليهودية والمسيحية، وأصبح بعضهم يعرفون القراءة والكتابة وتقدموا فكريًّا. وعلى رأي بعض المستشرقين أن بعض أجزاء شبه جزيرة العرب قد تفاعلت مع مظاهر الحضارة الهلينية،[2]

(1) مرجع سابق، منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، ص49-50.

(2) أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة: رمزى جرجس، مراجعة الدكتور: صقر خفاجة، إعداد: محمد محمد عنانى، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة برعاية السيدة سوزان مبارك، مادة الهلينية: حضارة خرجت إلى الوجود في أواخر العصر الألفي الثاني قبل الميلاد واحتفظت بشخصيتها منذ ذلك التاريخ حتى القرن السابع من العصر المسيحي، وكان أول ظهور لها على جانب البحر الإيجي، ص19.

وأن كثيرا من الأفكار، ومن نتاج الثقافات اليونانية والرومانية، ومن العقائد المسيحية والمزدكية[1] قد اختلطت وامتزجت فيها. وهكذا لم يبق العرب سادرين في عزلتهم، بل أخذوا بنصيب من يقظة عارمة، زاد في وضوح معالمها وقوعهم في أطراف المدنيات الكبرى. ومن الجدير بالذكر أن من أهم النتائج الفكرية التي أسفرت عنها رحلات المكيين إلى الحيرة[2] أنهم قد نقلوا منها حروف الهجاء، الأمر الذي استتبع نشوء الخط المعروف باسم الخط الكوفي.[3]

يقول الجاحظ[4]: " وكلّ شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز بوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالا، وتنثال الألفاظ انثيالا.... ونحن إذا دعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والإرجاز، ومن المنثور والإسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت، الذي

(1) بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط4، 1422هـ-2001 م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، مادة: المزدكية: نسبة إلى رجل يقال له مزدك، قيل: إنه رئيس الخرمية، ولعله غير مزدك صاحب الشيوعية الأولى، ثم أطلق على الباطنية لمشابهتهم مذهب مزدك، 2/ 499.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2، 1995م، دار صادر، بيروت، مادة الحِيرَةُ: بالكسر ثم السكون، وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النّجف زعموا أن بحر فارس كان يتّصل به، وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل، والسدير في وسط البرّيّة التي بينها وبين الشام، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها حاريّ على غير قياس كما نسبوا إلى النمر نمريّ، 2/ 328.

(3)توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط2، 1422هـ- 2001م، دار الفكر، ص 271-272.

(4)الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، البصري العالم المشهور، صاحب التصانيف في كل فن، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، من تصانيفه: "الحيوان" "البيان والتبيين"، توفي بالبصرة سنة 255هـ. ينظر: أبو العباس الإربلي، وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس، ط1900،3، دار صادر، بيروت، 3/470-474.

لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير، والنبذ القليل."[1]

ويقول أحمد أمين[2]: "إن العربي الجاهلي عصبي المزاج سريع الغضب، والمزاج العصبي يستتبع عادة ذكاء. وفي الحق: إن العربي ذكي، يظهر ذكاؤه في لغته، فكثيرا ما يعتمد على اللمحة الدالة، والإشارة البعيدة، كما يظهر في حضور بديهته، فما هو إلا أن يفاجأ بالأمر فيفجؤك بحسن الجواب.[3]

مما تقدم تتضح لنا الخطوط الأساسية لمميزات الفكر العربي في الجاهلية. فالعربي الجاهلي لم يمارس العلم، ولم تكن له فلسفة ولا منطق، إنما تميزت ثقافته بالفنون الأدبية من خطابة ونثر وأمثال وشعر، تنثال عليه المعاني انثيالًا دون تكلف. فالسليقة الشعرية فيه طبع أصيل، وقد فطر على البديهة والارتجال والإلهام. وهو ذكي سريع الخاطر يعتمد على اللمحة الدالة والإشارة البعيدة.[4]

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، 3/ 20-21.

(2)أحمد أمين: هو ابن الشيخ إبراهيم الطباخ، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتَّاب، تولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، من أعماله إشرافه على لجنة التأليف والترجمة والنشر مدة ثلاثين سنة، من مؤلفاته: "فجر الإسلام" "ضحى الإسلام" "قاموس العادات"، توفي بمصر سنة 1954م. ينظر: الزركلي، الأعلام، ط15، 2002م، دار العلم للملايين، 1/101-102.

(3)أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي، ص46.

(4) مرجع سابق، توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ص 272.

المطلب السادس: موقف الشرع من العادات الجاهلية

جاء الإسلام خاتماً للأديان وهذه الخاتمية تقتضى أن يكون أكمل الأديان وأوفاها بحاجات الإنسانية، وأبرعها في معالجة الأدواء التي حوتها (القيم الجاهلية). واختلف موقف الإسلام من هذه القيم تبعاً لنوعيتها:

- فقابل بعضها بالرفض، وقضى عليه قضاء مبرما.
- وأقر بعضها وشجعه ودعا إليه.
- وسما ببعضها الآخر: فعاد بالنفع على الدين والناس.

وكانت عدة الإسلام في كل أولئك: إحياء الفطرة السليمة والترهيب والترغيب، التدرج في التشريع لتهيئة النفس لقبول التكاليف وأخذ النفس بالأوامر وتجنب النواهي. فموقف الإسلام إذن من قائمة القيم الجاهلية كان موزعاً بين هذه الثلاثة:

- التحريم.
- الإقرار.
- التسامي والإعلاء.[1]

(1) جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية، ط1، 1404هـ-1984م، دار الكتب الإسلامية-دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، ص 28.

الفرع الأول: أهم ما أبطله القرآن والسنة من أحكام الجاهلية

جاء التشريع الإسلامي، وللعرب عقائد ومعاملات، وعرف وعادات، فما كان منها صالحا أقره وهذبه، كالقسامة، والديات، وبعض المكرمات، وما كان منها ضارا مفسدا نهى عنه وحرمه وأبطله، ومن أهم ما أبطله ما يأتي:

- العقائد الوثنية، ومظاهر الشرك بما في ذلك إسنادهم الإهلاك إلى الدهر، وكفرهم بآيات الله ولقائه، والبعث بعد الموت، واعتقادهم أن الملائكة بنات الله، وتخصيص أنعام وحرث لآلهتهم، وما زعموه في البحيرة والسائبة، والوصيلة والحامي.
- الأعمال القبيحة، كقتل الأولاد خشية الإملاق، ووأد البنات مخافة العار.
- أنكحة الجاهلية: كان يجتمع الرهط دون العشرة، فيدخلون على المرأة فيصيبونها، فإذا حملت ووضعت ترسل إليهم فلا يستطيع واحد منهم أن يمتنع، فإذا اجتمعوا عندها تقول لهم: قد غرفتم الذي كان من أمركم، فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل.

وكان الرجل يقول لامرأته إذا ظهرت من طمثها: أرسلي على فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

وإذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإنا شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجها، فهم أحق بها من أهلها.[1]

- نظام التبني: الذي ظل فترة في صدر الإسلام حتى نزل قوله تعالى: ﴿... وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ

(1) مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ط5، 1422هـ-2001م، مكتبة وهبة، ص 137-138.

يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ ...۝٥﴾ [الأحزاب:4-5].

- الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وإن كانت الخمر قد حرمت بالتدريج.

- تعالي بعض القبائل على بعض في القصاص والديات، فيجعلون جراحاتهم وديانهم ضعف جراحات الخصوم وديانهم، وربما زادوا على ذلك وأعنتوا، فطلبوا العدد بالواحد، أو طلبوا غير القاتل أو قتلوا الحر بالعبد، إلى أن نزلت آية القصاص.

- وكان الظهار طلاقا، حتى ظاهر أوس بن الصامت من امرأته خولة بنت ثعلبة فذهبت تشتكي إلى رسول اللهﷺ، وظلت تراجعه حتى أنزل اللهﷻ صدر سورة المجادلة.

- وكان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك، فوقت الله لهم أربعة أشهر، فإن نكحها كفر عن يمينه، وإن مضت قبل أن ينكحها خيره. السلطان: إما أن يفيء، وإما أن يعزم فيطلق.

- وكانت قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون "الحمس" وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيض منها، وذلك قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:199].[1]

- وكانوا يستحلون الربا أضعافا مضاعفة، يكون لأحدهم دين على الآخر، فإذا حل الأجل قال له: أتقضي أم تربي، فإن لم يقض زاده هذا في المال، وزاده هذا في الأجل حتى نزل تحريم الربا[2].

الفرع الثاني: أهم ما أقره الإسلام من أخلاق الجاهلية

كانت في أهل الجاهلية دنايا ورذائل وأمور ينكرها العقل السليم، ويأباها الوجدان، كما كانت فيهم من الأخلاق الفاضلة المحمودة ما يروع الإنسان، ويفضي به إلى الدهشة والعجب، فمن تلك الأخلاق:

(1) مرجع سابق، مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ص137-138.

(2) المرجع نفسه، مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ص 138.

- **الكرم**: وكانوا يتبارون في ذلك ويفتخرون به، وقد استنفدوا فيه نصف أشعارهم، بين ممتدح به ومثن على غيره، كان الرجل يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع، وليس عنده من المال إلا ناقته التي هي حياته وحياة أسرته، فتأخذه هزة الكرم، فيقوم إليها، ويذبحها لضيفه، ومن آثار كرمهم أنهم كانوا يتحملون الديات الهائلة والحمالات المدهشة، يكفون بذلك سفك الدماء، وضياع الإنسان، ويمتدحون بها مفتخرين على غيرهم من الرؤساء والسادات.

وكان من نتائج كرمهم أنهم كانوا يتمدحون بشرب الخمور، لا لأنها مفخرة في ذاتها، بل لأنها سبيل من سبل الكرم، ومما يسهل السرف على النفس، ولأجل ذلك كانوا يسمون شجر العنب بالكرم، وخمره ببنت الكرم. وإذا نظرت إلى دواوين أشعار الجاهلية تجد ذلك بابا من أبواب المديح والفخر.[1]

ومن نتائج كرمهم اشتغالهم بالميسر، فإنهم كانوا يرون أنه سبيل من سبل الكرم لأنهم كانوا يطعمون المساكين ما ربحوه، أو ما كان يفضل عن سهام الرابحين، ولذلك ترى القرآن لا ينكر نفع الخمر والميسر وإنما يقول:﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219].

- **الوفاء بالعهد**، فقد كان العهد عندهم دينا يتمسكون به، ويستهينون في سبيله قتل أولادهم، وتخريب ديارهم.

- **عزة النفس وإباء عن قبول الخسف والضيم**، وكان من نتائج هذا فرط الشجاعة، وشدة الغيرة، وسرعة الانفعال، فكانوا لا يسمعون كلمة يشمون منها رائحة الذل والهوان إلا قاموا إلى السيف والسنان، وأثاروا الحروب العوان، وكانوا لا يبالون بتضحية أنفسهم في هذا السبيل.

- **المضي في العزائم**، فإذا عزموا على شيء يرون فيه المجد، والافتخار لا يصرفهم عنه صارف، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله.

(1) مرجع سابق، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 37-38.

- **الحلم، والأناة، والتؤدة،** كانوا يتمدحون بها إلا أنها كانت فيهم عزيزة الوجود، لفرط شجاعتهم، وسرعة إقدامهم على القتال.

- **السذاجة البدوية، وعدم التلوث بملوثات الحضارة، ومكائدها،** وكان من نتائجه الصدق والأمانة، والنفور عن الخداع والغدر.[1]

- **الذكاء والفطنة:** فقد كانت قلوبهم صافية، لم تدخلها تلك الفلسفات والأساطير والخرافات التي يصعب إزالتها، كما في الشعوب الهندية والرومانية والفارسية، فكأن قلوبهم كانت تعد لحمل أعظم رسالة في الوجود وهي دعوة الإسلام الخالدة؛ ولهذا كانوا أحفظ شعب عرف في ذلك الزمن، وقد وجه الإسلام قريحة الحفظ والذكاء إلى حفظ الدين وحمايته، فكانت قواهم الفكرية، ومواهبهم الفطرية مذخورة فيهم، لم تستهلك في فلسفات خيالية، وجدال بيزنطي عقيم، ومذاهب كلامية معقدة.[2]

نرى أن هذه الأخلاق الثمينة مع ما كان لجزيرة العرب من الموقع الجغرافي بالنسبة إلى العالم كانت سببا في اختيارهم لحمل عبء الرسالة العامة، وقيادة الأمة الإنسانية والمجتمع البشري؛ ولعل أغلى ما عندهم من هذه الأخلاق وأعظمها نفعا بعد الوفاء بالعهد هو عزة النفس والمضي في العزائم، إذ لا يمكن قمع الشر والفساد، وإقامة نظام العدل والخير؛ إلا بهذه القوة القاهرة، وبهذا العزم الصميم.[3]

الفرع الثالث: ما هذبه الإسلام من أفعال الجاهلية

من القيم والقدرات ما أبقى الإسلام على منبعه وأصله الدافع، ولكنه وجه مسارها الوجهة الخيرة الصحيحة. فقد حقق الإسلام هذا الإعلاء بربط الشخصية بالدين وقيمه التربوية من ناحية

(1) مرجع سابق، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 37-38.
(2)مرجع سابق، الصَّلاَّبي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ص 32.
(3)مرجع سابق، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 37-38.

وربط العمل بالجزاء من ناحية ثانية، وتقييم العمل على أساس النية من ناحية ثالثة. ومن أمثلة الإعلاء:[1]

أولاً: الشعر

الشعر الجاهلي شأن الأدب في كل أمة وخاصة في عهد الطفولة الأممية كان فيه من ناحية المضمون الفكري والوضيء والوضيع: كان فيه الغزل الفاحش كما كان فيه الغزل العفيف. وكان فيه الهجاء المقذع، كما كان فيه التغني بالمناقب والخصال الإنسانية العليا. وكان فيه من الأوصاف ما هو موغل في الكذب كما كان فيه ما يتدفق بالصدق. ومعارضة الإسلام له، ليس من حيث هو شعر، وإنما كان موقفه هذا. من الشعر الذي غلب عليه الكذب، والكلام الفاحش الذي تأباه النفوس الطيبة، أما ما طاب من الشعر، وخلص من هذه الخبائث، فإن الإسلام حفيّ به، مكرم له، احتفاءه بالكلمة الطيبة، وإكرامه للقول الطيب.[2]

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء:224-227].

نزلت الآيات الثلاث الأولى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ... يَفْعَلُونَ﴾ ابتداءً وفيها حكم عام صارم على الشعراء، فبكى الشاعر المسلم عبد الله بن رواحة، فنزلت الآية الأخيرة (227) تستثني من هذا الحكم.﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾[الشعراء:227].[3]

فالشعر لم يحرّمه الإسلام على اطلاقه، وقد قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: وأما الشعر: فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم.[4] ودليل ذلك:

---

(1) مرجع سابق، جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية، ص 30.

(2) عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 10/ 200-201.

(3)مرجع سابق، جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية، ص31.

(4) الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1426،1هـ-2005م، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ص1016.

1- وورود كثير من الأحاديث، يتحدث فيها النبي عن الشعر والشعراء، ومن ذلك قوله: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعَرِ لَحِكَمًا**».[1]تعليقا على أبيات العلاء الحضرمي التي قال فيها:

وحـــي ذوي الأضـــغان تســـب قلـــوبهم تحيتـــك الأدنـــى فقـــد يرفـــع النغـــل
وإن دحســـوا للشـــر فـــاعف تكرمـــا وإن كتمـــوا عنـــك الحـــديث فـــلا تســـل
فـــإن الـــذي يؤذيـــك منـــه ســـماعه وإن الـــذي قـــالوا وراءك لـــم يقـــل[2]

وفي تعليق رسول الله ﷺ إعجابٌ بحكمة الشاعر، وإقرارٌ بسحر بيانه، وتوضيحٌ لتأثير الشعر وسحره.[3]

2- سماعهُ إيّاه فقد كان حسانٌ وعبدُ الله بنُ رَواحَة وكعبُ بن زُهير يمدحونَهُ ويسمع منهم ويُصغي إليهم ويأمرهم بَالردَّ على المُشركين فيقولون في ذلك ويَعرِضُونَ عليه.ومن أدلة سماعه الشعر صلوات الله عليه ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال أردفني النبيﷺ فقال: «**هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيهِ» ، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ**».[4]

3- إنشاده ﷺ في بعض المواقف الشعر، روي أن رسول اللهﷺ كان في بعض المشاهد وقد دميت إصبعه، فقال:

«**هـــل أنـــت إلا إصـــبع دميـــت وفـــي ســـبيل اللـــه مـــا لقيـــت**».[5]

(1) مصدر سابق، رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه محمد، حديث رقم: 7671، 7/ 341.
(2)مصدر سابق، المتقي الهندي، كنز العمال، 857/3.
(3) مكي العاني، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ص42.
(4)مصدر سابق، رواه البخاري في الأدب المفرد، كتاب الألفاظ، باب قول الرجل ياهنتاه، حديث رقم:799، ص278.
(5) مصدر سابق، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب في سبيل الله، حديث رقم:2802، 18/4.

4- ارتياحُه للشَّعر واستحسانُه له ولقد جاءَ فيه الخبرُ من وجوهٍ.[1] من ذلك حديثُ النّابغةِ الجعديَّ[2] قال: أنشدتُ رسول اللهقولي:

بَلَغْنَـــا السَّـــمَاءَ مَجْـــدُنَا وَجُـــدُودُنَا وَإِنَّـــا لَنَرْجُـــو فَـــوْقَ ذَلِـــكَ مَظْهَـــرَا[3]

فقال النبيُّﷺ: أينَ المَظْهرُ يا أبا ليلى فقلت: الجنّةُ يا رسول الله. قال: أجلْ إنْ شاء الله.[4]

ثانيا: القتال

في العرب كما عرفنا قوة وحماسة وشجاعة وطبع مغروس في أعماقهم باستعمال القوة في معالجة أمورهم، حتى سلكت فيهم غريزة المقاتلة مسلكها المحتد العاتي المنحرف. هذه الغريزة المقاتلة القاتلة لا بد أن تستغرق بالإعلاء، وإلا صارت قدرة مدمرة.ولكن الإسلام سما بهذه الغريزة حين استغرقها في الجهاد في سبيل الله. فبعد سنوات من المسالمة والعذاب والمعاناة نزلت أول آية تأذن بالجهاد دفاعا عن النفس وعن العقيدة[5] قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج: 39] إلى غير ذلك من الآيات التي تأمر بالقتال. كقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: د.محمد التنجي، ط1 1995، دار الكتاب العربي – بيروت، ص 36.

(2)النابغة الجعدي أبو ليلى، وهو من بني عامر بن صعصعة، شاعر زمانه، من مؤلفاته: صحبة، ووفادة، ورواية، ينظر، مرجع سابق، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 3/ 177.

(3) النابغة الجعدي، خبر شعر ووفادة، ص 2.

(4) رواه الحارث في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، حديث رقم: 894، 844/2.

(5)ينظر: مرجع سابق، جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية، ص 34.

﴾[البقرة:193].فالإذن بالجهاد هو في الحقيقة قانون شرعه الله للمظلوم، يدافع به عن نفسه ووجوده وكرامته ضد الظلم والعدوان. وهو الوسيلة النهائية التي يرجع إليها.[1]

إن الجهاد الذي شرف الله به هذه الأمة منذ فجر حضارتها، بل منذ وجودها، لا تنهض فلسفته على شيء من بواعث العصبية أو العنصرية، أيا كان نوعها.وكيف يكون للعصبية أو العنصرية سلطان على جهاد يقول مشرعه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:8].وإنما هو في حقيقته، الحصن الذي لا بد منه، لحفظ هوية هذه الأمة وكيانها، والجهد الذي لا بد منه لدرء كيد الطامعين فيها.[2]

فكان الجهاد وفتوحاته من أجل شيء واحد وواحد فقط، هو حمل الدعوة الإسلامية وإنقاذ شعوب العالم من حياة الشقاء والتعاسة. وإخراجهم من الظلم والظلمات التي يعيشونها بسبب فساد أنظمتهم وضلال أفكارهم، وخطأ عقيدتهم، إخراجهم من ذلك كله، إلى نور الإسلام، وضياء القرآن، وإلى العبادة الكاملة والطمأنينة الحقة، من تطبيق نظام الإسلام، ونشر عقيدته الصافية النقية. فآيات الله تعالى وأحاديث رسولهﷺ، وعمله والخلفاء، والذين جاءوا بعده، بينت الغاية من الجهاد، والقصد من الفتوحات، من أنها لإعلاء كلمة الله في الأرض، وحمل الدعوة إلى الإسلام، ورفع راية التوحيد في العالم خفاقة بالنصر المبين.[3] فالقتال في نظر الدعوة الإسلامية منهج وليس ضرورة، إنما هو منهج يستخدم عند الضرورة التي تجعله وحده هو الوسيلة لعلاج مؤقت ما.ويمكن تلخيص بواعث الجهاد فيما يلي:

1- يستخدم القتال دفعا لهجوم متوقع بعده الأعداء.

---

(1)الزكابي، الجهاد في الإسلام، ط1، 1418هـ-1997م، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان، دار الفكر دمشق-سورية، ص230-231.

(2)محمد البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، ط1، 1414هـ-1993، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان/دار الفكر دمشق-سورية، ص 225.

(3) عبد العزيز البدري، الإسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية-المدينة المنورة، ص 226-227.

2- يقع القتال للدفاع عن الدين والأرض.

3- القتال يقع ضد من ينقض العهد والمواثيق أي المعاهدات.

4- القتال يقع لتأمين المسلمين إذا تعرض لهم من يفتنهم عن دينهم. أو بمنع الداعي من تبليغ دعوته.[1]

وخلاصة موقف الإسلام إذن من عادات الجاهلية أنه اختلف في ذلك فهناك ما حرمه الإسلام وقضى عليه كعبادتهم لغير الله، وهناك ما أقره ودعا إليه كالكرم والوفاء، وهناك ما حسنه وهذب وجهته كملكة الشعر وغريزة القتال.

ملخص المبحث:

العصر الجاهلي هو ذلك العصر الذي كان قبل الإسلام، وكانت العرب آنذاك لديهم كثير من الأخلاق السيئة من كبر وتفاخر بالأنساب وغير ذلك ولا ينفي هذا ما عندهم من أخلاق جيدة كانت من أسباب اختيارهم لتنزل الدعوة فيهم، والجاهلية تفرعت كمصطلح إلى أنوع كما ذكرنا وعلى الإنسان معرفتها لئلا يقع فيها وهذا لما في معرفتها من أهمية بالغة، ولا يخفى على القارئ ما كانت في الجاهلية من أحوال فقد كانوا من الناحية الدينية متنوعو الآلهة، وأما من الناحية السياسية فقد اتسمت العرب بالحمية القبلية، وأما من الناحية الفكرية فقد كانوا منفتحين على الدول التي حولهم ومهتمين بالعلم، وأما من الناحية الاجتماعية فقد اتسمت العرب بالخضوع للأعرف والتقاليد القبلية سيئة كانت أو جيدة، فجاء الإسلام فقابل بعض هذه الأخلاق بالتحريم وبعضها بالإقرار وبعضها بالتهذيب وطهر المجتمع الجاهلي من جاهليته.

(1)نادية حسنى صقر، فلسفة الحرب في الإسلام،1410هـ-1990م، ص 100-101.

المبحث الثالث: الدراسة الموضوعية لآيات العادات الجاهلية في سورة الأنعام والبعد الواقعي لها

سنتطرق في هذا المبحث إلى دراسة الآيات التي تضمنت العادات الجاهلية في سورة الأنعام دراسة موضوعية، من خلال تفسير الآيات الكريمة بأقوال المفسرين وذكر المناسبات والآيات المستنبطة منها:

- **المطلب الأول: عادة أهل الجاهلية في تكذيب الرسل**
- **المطلب الثاني: عقائد أهل الجاهلية في الإشراك بغير الله**
- **المطلب الثالث: عادات أهل الجاهلية في الزروع والثمار**
- **المطلب الرابع: عقائد أهل الجاهلية في الأنعام**
- **المطلب الخامس: عادة أهل الجاهلية في قتل الأولاد ووأد البنات**
- **المطلب السادس: البعد الواقعي**

المطلب الأول: عادة أهل الجاهلية في تكذيب الرسل

الفرع الأول: نص الآيات وتفسيرها

قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الأنعام:7-11].

قال البيضاوي في تفسيرها: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ مكتوباً في ورق. ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فمسوه، وتخصيص اللمس لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا، ولأنه يتقدمه الإبصار حيث لا مانع، وتقييده بالأيدي لدفع التجوز فإنه قد يتجوز به للفحص كقوله: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ تعنتاً وعناداً. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هلا أنزل معه ملك يكلمنا أنه نبي كقوله: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧﴾[الفرقان:7]. ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ جواب لقولهم وبيان هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه، والمعنى أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق إهلاكهم فإن سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم. ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ بعد نزوله طرفة عين.[1]

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ جواب ثان إن جعل الهاء للمطلوب، وإن جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان، فإنهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك، وتارة يقولون لَوْ شَاء رَبُّنَا لأَنزَلَ ملائكة. والمعنى ولو جعلنا قريناً لك ملكاً يعاينونه أو الرسول ملكاً لمثلناه رجلاً كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي، فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته، وإنما رآهم كذلك الأفراد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية،

(1)البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، 1418هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 155/2.

﴿وَلَلَبَسۡنَا﴾ جواب محذوف أي ولو جعلناه رجلاً، للبسنا أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فيقولون مَا هذا إِلاَّ بَشَرٌ مثلكم.(1)

قال الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾[الأنعام:10]

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمدﷺ، مسليًّا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبةَ ما يلقى منهم من أذىَ الاستهزاء به، والاستخفاف في ذات الله: هَوِّنْ عليك، يا محمد، ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك، المستخفّين بحقك فيّ وفي طاعتي، وامضِ لما أمرتك به من الدُّعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي، فإنهم إن تمادوا في غيّهم، وأصَرُّوا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيلَ أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم، من تعجيل النقمة لهم، وحلول المَثُلاتِ بهم. فقد استهزأت أمم من قبلك برسلٍ أرسلتهم إليهم بمثل الذي أرسلتك به إلى قومك، وفعلوا مثل ما فعل قومُك بك،﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾، يعني بقوله:"فحاق"، فنزل وأحاط بالذين هزئوا من رسلهم، ﴿ مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ يقول: العذابُ الذي كانوا يهزءون به، وينكرون أن يكون واقعًا بهم على ما أنذرتهم رسلهم.(2)

من خلال ما سبق يتبين أن هذه الآيات ذكرت شبهات أولئك الجاحدين المعاندين على الوحي وبعثة الرسول، ومقترحاتهم على النبيﷺ، وأنهم تارة يطلبون إنزال ملك مع الرسولﷺ، وأخرى يطلبون إنزال ملك بالرسالة، وكان مبنى هذه المقالة الاستهزاء، وكان قلب الرسول يضيق بها ذرعا عند سماعه إياها. فأراد الله أن يخفف عنه ما يلاقيه منهم من سوء الأدب ومن الهزؤ والسخرية، فأبان له أنك لست ببدع من الرسل، فإن كثيرا منهم لاقوا من أقوامهم مثل ما لاقيت بل أشد من ذلك وأنكى، فأنزل الله بهم من العذاب ما يستحقونه كفاء أفعالهم الشنيعة وجرأتهم

(1) مصدر سابق، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 155/2.
(2) المصدر نفسه، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 271/11.

على من اصطفاهم ربهم من خلقه، ثم أمر هؤلاء المكذبين بأن يسيروا في الأرض ليروا كيف كانت عاقبة المكذبين لأنبيائه.[1]

الفرع الثاني: المناسبات

قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[الأنعام:7-11].

مناسبة المقطع لما قبله

أن اللهﷻ لما أرشد في الآيات المتقدمة إلى ما دعا إليه الرسولﷺ من التوحيد والبعث، ثم ذكر بعدها الأسباب التي دعت قريش إلى التكذيب، وأنذرهم عاقبة هذا التكذيب بما يحل بهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة وأنه لا يحول دونه ما هم فيه من قوة وضعف الرسولﷺ وتمكنهم في مكة وهي أم القرى وأهلها القدوة والسادة بين العرب...ذكر هنا شبهات أولئك الجاحدين المعاندين على الوحي وبعثة الرسولﷺ وبها تم بيان أسباب جحودهم وإنكارهم لأصول الدين الثلاثة: التوحيد والبعث ونبوة محمدﷺ. ثم ذكر ما يخفف عنه ما يلاقيه منهم من سوء الأدب، وبيَّن ما أنزل الله بهم من العذاب ما يستحقونه كفاء أفعالهم الشنيعة، وجرأتهم على من اصطفاهم ربهم من خلقه، ثم أمر هؤلاء المكذبين بأن يسيروا في الأرض ليروا كيف كان عاقبة المكذبين لأنبيائه.[2]

(1)المراغي، تفسير المراغي، ط1، 1365 هـ -1946م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، 82/2.

(2) ينظر: محمد الأمين بن عبد الله الهرري الشافعي، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرءان، ط1، 1421هـ-2001م، دار طوق النجاة، بيروت لبنان، 191/8-192.

مناسبة المقطع لما بعده

لما أمرهم سبحانه بالسير في قوله:﴿قُلْ سِيرُواْ﴾ سألهم هل يرون في سيرهم وتطوافهم وجولانهم واعتسافهم شيئا لغير الله؟ تذكيرا لهم بما رحمهم به من ذلك في إيجاده لهم أولا وتيسير منافعه ودفع مضاره ثانيا، استعطافا لهم إلى الإقبال عليه والإعراض عن الخضوع لما هو مثلهم أو أقل منهم، وهو ملكه سبحانه وفي قبضته، وتقبيحا لأن يأكلوا خيره ويعبدوا غيره. فقال مقررا لهم على إثبات الصانع والنبوة والمعاد، ومبكتا بسفههم وشدة جهلهم وعمههم: ﴿ قُل لِّمَن ﴾.[1]

الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة

1- الآيات بمعنى المعجزات والخوارق لا تستلزم الإيمان بل قد تكون سببا للكفر والعناد، ولذا لم يستجب الله لقريش ولم يعط رسوله ما طالبوه به من الآيات.

2- إنكار رسالة البشر عام في كل الأمم وقالوا ما هذا إلا بشر مثلكم في آيات كثيرة في حين أن إرسال الملائكة لا يتم معه هدف لعدم قدرة الإنسان على التلقي عن الملائكة والتفاهم معهم، ولو أنزل الله ملكا رسولا لقالوا نريده بشرا مثلنا ولحصل الخلط واللبس بذلك.

3- الإستهزاء بالرسل والدعاة سنة بشرية لا تكاد تختلف ولذا وجب على الرسل والدعاة الصبر على ذلك.

4- عاقبة التكذيب والإستهزاء هلاك المكذبين المستهزئين.[2]

(1)البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 7 /30.

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ط5، 1424هـ-2003م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 40/2.

المطلب الثاني: عقائد أهل الجاهلية في الإشراك بغير الله

الفرع الأول: نصوص الآيات وتفسيرها

أولا: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الأنعام: 74-79]

قال النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ آزر[1]: هو اسم أبيه أو لقبه لأنه خلاف بين النسابين﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾. إستفهام توبيخ أي أتتخذها آلهة وهي لا تستحق الإلهية ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾﴾.[2]

ناظر سيدنا إبراهيم عليه السلام في إثبات التوحيد وإبطال القول بالشركاء والأنداد في مقامات كثيرة.

فالمقام الأول: في هذا الباب مناظراته مع أبيه حيث قال له: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم:42].

والمقام الثاني: مناظرته مع قومه وهو قوله:﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾[الأنعام:76].

والمقام الثالث: مناظرته مع ملك زمانه، فقال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258].

---

(1) ينظر: مصدر سابق، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، وقيل في تفسير كلمة آزر أقوال: فقال بعضهم: هو اسم أبيه، وقال آخرون: إنه ليس أبا إبراهيم إنما هو صنم، وقال آخرون: هو سبٌّ وعيب بكلامهم، ومعناه: معوَجٌّ. كأنه تأوّل أنه عابه بزَيْغه واعوجاجه عن الحق. 11/466-467.

(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: يوسف علي بديوي وآخرون، ط1، 1419هـ-1998م، دار الكلم الطيب، بيروت، 515/1.

والمقام الرابع: مناظرته مع الكفار بالفعل، وهو قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾[الأنبياء:58].[1]

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما أريناه قبح الشرك ﴿نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي نري بصيرته لطائف خلق السموات والأرض ونرى حكاية حال ماضية، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فعلنا ذلك أو ليستدل وليكون من الموقنين عياناً كما أيقن بيانا. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي أظلم. ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ أي الزهرة أو المشتري وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئاً منها ليس بإله لقيام دليل الحدوث فيها ولأن لها محدثاً أحدثها ومدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ أي قال لهم هذا ربي في زعمكم أو المراد "أهذا" استهزاء بهم وإنكاراً عليهم والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح أن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ أي لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال لأن ذلك من صفات الأجسام.[2]

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ مبتدئاً في الطلوع ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ نبه قومه على أن من اتخذ القمر إلها فهو ضال وإنما احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال.[3]

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ أي مبتدئةً في الطلوع مما لا يكاد يُتصور ﴿قَالَ﴾ أي على النهج السابق،﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ تأكيدٌ لما رامه عليه السلام من إظهار النَّصَفة مع إشارةٍ خفيةٍ

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ط 3، 1420هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 29/13.
(2) مرجع سابق، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 516/1.
(3) المرجع نفسه، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 516/1-517.

إلى فساد دينهم من جهة أخرى ببيان أن الأكبرَ أحقُّ بالربوبية من الأصغر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾ هي أيضاً كما أفل الكوكب والقمرُ ﴿قَالَ﴾ مخاطباً للكلِّ صادِعاً بالحق بين أظهُرِهم ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾ أي من الذي تشركونه من الأجرام المُحْدَثةِ المتغيرةِ من حالة إلى أخرى المسخَّرة لمحدِثها أو من إشراككم.﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ التي هي الأجرامُ التي تعبدونها من أجزائها ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ التي تغيب هي فيها ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ أي مائلا عن الأديان الباطلة والعقائدِ الزائغة كلِّها ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ في شيء من الأفعال والأقوال.[1]

مما سبق ذكره يتضح أن: السياق القرآني يصور في هذه الآيات مشهد الفطرة السليمة وهي-للوهلة الأولى-تنكر تصورات الجاهلية في الأصنام وتستنكرها وهي تنطلق بعد إذ نفضت عنها هذه الخرافة في شوق عميق دافق تبحث عن إلهها الحق، الذي تجده في ضميرها، ولكنها لا تَتَبَيَّنُهُ في وعيها وإدراكها. وهي تتعلق في لهفتها المكنونة بكل ما يلوح أنه يمكن أن يكون هو هذا الإله! حتى إذا اختبرته وجدته زائفاً، ولم تجد فيه المطابقة لما هو مكنون فيها من حقيقة الإله وصفته... ثم وهي تجد الحقيقة تشرق فيها وتتجلى لها. وهي تنطلق بالفرحة الكبرى، والامتلاء الجياش، بهذه الحقيقة، وهي تعلن في جيشان اللقيا عن يقينها الذي وجدته من مطابقة الحقيقة التي انتهت إليها بوعيها للحقيقة التي كانت كامنة من قبل فيها!... إنه مشهد رائع باهر هذا الذي يتجلى في قلب إبراهيم عليه السلام والسياق يعرض التجربة الكبرى التي اجتازها في هذه الآيات القصار... إنها قصة الفطرة مع الحق والباطل. وقصة العقيدة كذلك يصدع بها المؤمن ولا يخشى فيها لومة لائم ولا يجامل على حسابها أباً ولا أسرة ولا عشيرة ولا قوماً... كما وقف إبراهيم من أبيه وقومه هذه الوقفة الصلبة الحاسمة الصريحة.[2]

(1) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 3/153-154.
(2) مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، 2/1138.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام:100]

قال السمرقندي في تفسير: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ يعني وضعوا لله شركاء وقال مقاتل: وذلك أن بني جهينة قالوا إن صنفا من الملائكة يقال لهم الجن بنات الرحمن[1] وذلك قوله ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾، وقيل: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ نزلت هذه الآية في الزنادقة قالوا إن الله تعالى وإبليس لعنه الله ولعنهم أخوان قالوا إن الله تعالى خالق الناس والدواب وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب[2] كقوله ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[الصافات:158] قال الزجاج: معناه أطاعوا الجن فيما سولت من شركهم فجعلوهم شركاء الله.[3] ﴿وَخَلَقَهُمْ ۖ﴾ يعني جعلوا لله الذي خلقهم شركاء ويقال ﴿وَخَلَقَهُمْ ۖ﴾ يعني خلق الجن ويقال وخلقهم يعني الذين تكلموا به ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ﴾ يعني وصفوا له البنين والبنات ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾ يعني بلا علم تعلمونه ويقال بلا حجة وبيان وروى عبد الله بن موسى عن جويرية قال سمعت رجلا سأل الحسن عن قوله ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ﴾ قال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل إذا كذب في نادي القوم يقول بعض القوم خرقها والله وقوله ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ﴾ يعني أن اليهود لعنهم الله قالوا عزيز ابن الله والنصارى لعنهم الله قالوا المسيح ابن الله وكفار قريش جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبير ثم نزه نفسه فقال ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾يعني تنزيها له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾يعني هو أعلى وأجل مما يصف الكفار بأن له ولدا.[4]

---

(1) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله محمود شحاته، ط1، 1423 هـ، دار إحياء التراث، بيروت، 581/1.

(2) محمد صديق خان، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ت: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412هـ-1992م، 209/4.

(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ط1، 1408 هـ -1988 م، ت: المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 277/2.

(4) السمرقندي، بحر العلوم، ت: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، 190/1.

مما سبق ذكره يتضح أن: هؤلاء المشركون جعلوا الجن شركاء لله تعالى في العبادة؛ اعتقادًا منهم أنهم ينفعون أو يضرون، وقد خلقهم الله تعالى وما يعبدون من العدم، فهو المستقل بالخلق وحده، فيجب أن يستقل بالعبادة وحده لا شريك له. ولقد كذب هؤلاء المشركون على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات؛ جهلا منهم بما يجب له من صفات الكمال، تنزَّه وعلا عما نسبه إليه المشركون من ذلك الكذب والافتراء.[1]

الفرع الثاني: المناسبات

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:74-79].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾[الأنعام:71] ناسب ذكر هذه الآية هنا وكان التذكار بقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه أنسب لرجوع العرب إليه إذ هو جدهم الأعلى فذكروا بأن إنكار هذا النبي محمد ﷺ عليكم عبادة الأصنام هو مثل إنكار جدكم إبراهيم على أبيه وقومه عبادتها فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾﴾.[2]

(1)نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ط2، 1430هـ -2009م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1/ 140.

(2) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، ط 1420هـ، دار الفكر، بيروت، 561/4.

مناسبة الآية لما بعدها:

لما أعلن إبراهيم عليه السلام معتقده لقومه، في قول الله تعالى:﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ أخذوا في محاجته، فقال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الأنعام:80][1]

ثانيا: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[الأنعام:100]

مناسبة الآية لما قبلها:

لما خص الله تعالى المؤمنين بالذكر بقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المنتفعون بخيرات وأنعم الله تعالى وقدرته، بخلاف الكافرين ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والردّ عليه فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾.[2]

مناسبة الآية لما بعدها:

لما ختم بالتنزيه عما قالوا من الشريك والولد، استدل على ذلك التنزيه بأن الكل خَلْقَهُ، محيط بهم علمه، ولن يكون المصنوع كالصانع، فقال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.[3]

(1) مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 325/7.

(2) الشربيني، السراج المنير، موافق للمطبوع دار الكتب العلمية، بيروت، 349/1.

(3) مرجع سابق، البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 217/7.

الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة

1- كل من سكن إلى شيء دون الله، أو مال إليه بالعشق والمحبة، فهو صنم في حقه، فإن لم ينزع عن محبته، ولم يقلع عن السكون إليه، كان حجابًا بينه وبين شهود أسرار التوحيد.(1)

2- إنكار الشرك على أهله، وعدم إقرارهم ولو كانوا أقرب الناس إلى المرء.

3- فضل الله تعالى وتفضله على من يشاء بالهداية الموصلة إلى أعلى درجاتها.

4- الاستدلال بالحدوث على وجود الصانع الحكيم وهو الله عز وجل.

5- أن من الإنس من عبد الجن بطاعتهم وقبول ما يأمرونهم به ويزينونه لهم.

6- تنزه الرب تعالى عن الشريك والصاحبة والولد (2)

7- فطرة إبراهيم عليه السلام هي النموذج الكامل للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها التي تواجه الضلال البين، فتنكره وتستنكره.(3)

8- حرص إبراهيم عليه السلام على دعوة أبيه يرشدنا إلى دور الداعية مع أهله وعشيرته، وتدرجه في الدعوة.

9- تضمن قوله تعالى:﴿وَجَعَلُواْ...﴾ ردا على عبدة الشياطين الذين يختلقون الكذب على الله بادعاء البنين والبنات له سبحانه وتعالى عما يشركون، والذين يعظمون الجن ويتعوذون بهم.(4)

10- في قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ فيه تسلية للنبي، وإعلام بأنهم ندموا على إشراكهم بالله فلا يتأسف على كفر قومه فإن الله تعالى منزه عن ذلك ولا يضره شيء من فعلهم.(5)

---

(1)أبو العباس أحمد الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط 1419 هـ، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 135/2.

(2) مرجع سابق، أبوبكر الجزائري، أيسر التفاسير، 81/2-82-100.

(3) ينظر: مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، 1138/2.

(4) مرجع سابق، مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن، مج 525/2.

(5) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ت: د. حسن المناعي، ط1، 1986م، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، 177/2.

المطلب الثالث: عادات أهل الجاهلية في الزروع والثمار

الفرع الأول: نص الآية وتفسيرها

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام:136]

جاء في تفسير الجلالين: ﴿وَجَعَلُواْ﴾ أي كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ ٱلۡحَرۡثِ﴾ الزرع ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيبا يصرفونه إلى سدنتها[1] ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ بالفتح والضم ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا كما قال تعالى ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي لجهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحۡكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.[2]

وقال البيضاوي في تفسيرها:﴿وَجَعَلُواْ﴾ أي مشركو العرب.﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق. من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم. وروي أنهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين، وشيئا منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحونه عندها، ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم. وفي قوله ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ تنبيه على فرط جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء، ثم

(1) مصدر سابق، ابن منظور، لسان العرب، ط3، 1414هـ، دار صادر، بيروت، مادة: سدن: السادن: خادم الكعبة وبيت الأصنام، والجمع السدنة وهي حجاب البيت وقومة الأصنام في الجاهلية، وهو الأصل، 207/13.

(2)جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، ط1، دار الحديث، القاهرة، ص186.

رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له، وفي قوله ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به.[1]

بينت لنا هذه الآيات حالة المشركين في تقسيمهم للزروع والثمار وكيف جعلوا لله مما خلق من الزروع والأنعام قِسْمًا، فزعموا أنه لله، وقِسْمًا آخر لأوثانهم وأنصابهم، فما خصَّصوه لشركائهم لا يصل إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالفقراء والمساكين، وما خصَّصوه لله فهو يصل إلى شركائهم من الأوثان يصرف في مصالحها، ألا ساء حكمهم وقسمتهم.[2]

الفرع الثاني: المناسبات

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام:136].

مناسبة الآية لما قبلها

اعلم أنه تعالى لما بين قبح طريقتهم في إنكارهم البعث والقيامة ذكر عقبه أنواعا من جهالتهم وركاكة أقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات إلى كلماتهم فمن جملتها أنهم يجعلون لله من حرثهم كالتمر والقمح ومن أنعامهم كالضأن والمعز والإبل والبقر نصيبا فقالوا: هذا لله بزعمهم يريد بكذبهم.[3]

(1) ينظر: مصدر سابق، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 208/2.
(2)جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط3، 1436هـ، 145/1.
(3) مصدر سابق، الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، 157/13.

مناسبة الآية لما بعدها

ذكر اللهﷻ أن الشيطان زين للمشركين قسمة الزروع والأنعام بين الله والأوثان، مثل ذلك زين للمشركين شركاؤهم من الشياطين أو السدنة قتل بناتهم خشية العار أو الفقر فأطاعوهم فيما أمروهم به من المعاصي والآثام.(1)

الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة

1- تقسيم المشركين ما رزقهم الله من رزق، وأنشأ لهم من زروع وأنعام، إلى قسمين: قسم يجعلونه لله-زاعمين أن هذا مما شرعه الله-وقسم يجعلونه لشركائهم-وهي الآلهة المدعاة التي يشركونها في أنفسهم وأموالهم وأولادهم من دون الله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾.(2)

2- حرمة الابتداع في الدين والتشريع المنافي لشرع الله تعالى وإن لم ينسب إلى الله تعالى.

3- ما ينذره الجهال اليوم من نذور للأولياء وإعطائهم شيئاً من الأنعام والحرث والشجر هو من عمل المشركين زينه الشيطان لجهال المسلمين.(3)

4- يخبر تعالى في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ... سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ عمَّا عليه المشركون المكذبون للنبي ﷺ، من سفاهة العقل، وخفة الأحلام، والجهل البليغ، وعدَّد تبارك وتعالى شيئا من خرافاتهم، لينبه بذلك على ضلالهم والحذر منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق الذي جاء به الرسول، لا تقدح فيه أصلا فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق.(4)

---

(1)مرجع سابق، طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 188/5.

(2) مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، 1214/3.

(3) ينظر: مرجع سابق، أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، 127/2.

(4)السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط 1، 1420هـ -2000م، مؤسسة الرسالة، ص274.

5- في قوله تعالى:﴿وَجَعَلُواْ﴾ شروعٌ في تقبيح أحوال المشركين الفظيعةِ بحكاية أقوالِهم وأفعالهم الشنيعة.[1]

المطلب الرابع: عقائد أهل الجاهلية في الأنعام

الفرع الأول: نص الآيات وتفسيرها

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩ ﴾ [الأنعام:138-139]

قال الشعراوي في تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ...﴾ أي هي أنعام محرم استخدامها، وحرموا أيضاً ركوبها. ﴿ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا...﴾ وتمادوا في الكفر فذكروا أسماء الأصنام عليها: ﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾. وهذا لون من الافتراءات قد فعلوه ونسبوه إلى أنه متلقًّى من الله، ومأمور به منهﷻ ولو قالوا: إن هذه الأمور من عندهم لكان وقع الافتراء أقل حدة، لكنه افتراء شديد لأنهم جاءوا بهذه الأشياء ونسبوها إلى الله، وهم قد انحلوا عن الدين وقالوا على بعض من سلوكهم إنه من الدين، ولذلك يجازيهم الله بما افتروا مصداقاً لقوله: ﴿ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾. ويقول الحق بعد ذلك:﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ...﴾ويقودهم الباطل إلى باطل آخر فادعوا أن ما في بطون هذه الأنعام من اللبن ومن الأجنة إذا نزلت حيّة فهي للذكور منهم فقط، ولا تأكل النساء من ذلك شيئاً، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء وهذا يدل على التشقيق في القسمة. ويذيل الحق الآية بالقول الكريم: ﴿... سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ أي سيجزيهم على كذبهم

(1) مصدر سابق، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 188/3.

وافترائهم بما يليق عقاباً للكاذبين؛ لأنهﷻ (حكيم) في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره (عليم) بما يفعلونه من خير وشر، وإنه سيجازيهم على ما فعلوه أتم الجزاء وأكمله.[1]

تضمنت هذه الآيات تعديد ما شرعه المشركين لأنفسهم والتزموه على جهة القربة كذبا منهم على الله وافتراء عليه، فوصف تعالى أنهم عمدوا إلى بعض أنعامهم وهي الإبل والبقر والغنم أو الإبل بانفرادها، وما غيرها إذا انفرد فلا يقال له أنعام، وإلى بعض زروعهم وثمارهم، وسمي ذلك «حرثا» إذ عن الحرث يكون، وقالوا هذه حجر أي حرام، فتعددت مذاهبهم الفاسدة، وكانت سنتهم في بعض الأنعام أن يحرموا ما ولدت على نسائهم ويخصصونه لذكورهم.[2]

الفرع الثاني: المناسبات

مناسبة المقطع لما قبله

لما بين اللهﷻ في الآية السابقة جهالة المشركين في قتل أولادهم وأمر بعدم إتباع خطوات الشيطان وأوامره كما اتبعها المشركون أعقب ذلك بذكر نموذج آخر من جهالة المشركين وذلك ما فعله العرب في تحريمهم للأنعام، وجعلوها أنواعا وأجزاءً وابتدعوها بغير علم كذبا على الله.[3]

مناسبة المقطع لما بعده

لما بين اللهﷻ في هذه الآيات سخافات المشركين وافتراءاتهم على الله تقسيمهم للأنعام التي بأيديهم إلى عدة أقسام، أعاد الكرة في الآيات التي بعدها فواصل بذكر عقائد المشركين التي ما أنزل الله بها من سلطان؛[4] وهي قتل أولادهم سفاهة بغير علم لخفة

(1)متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي –الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 3962/7-3963.

(2)ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، 1422 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، 350/2-351.

(3)ينظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط6، 1424 هـ، دار السلام، القاهرة، 1777/3.

(4)ينظر: محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ط1405،1هـ، 1985م، دار العرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2/ 169-174.

عقولهم وجهالتهم وتحريمهم ما أحل الله افتراءا عليه وبين أنهم قد ضلوا الطريق بصنيعهم القبيح.[1]

الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة

1- إخبار الله سبحانه عن سخافة العرب وجهلهم أمر أذهبه الإسلام، وأبطله الله ببعثة الرسولﷺ، فبئس الحكم حكمهم.[2]

2- بيَّن الله تعالى بقوله:﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ... سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ فنا آخر من ضلال المشركين.[3]

3- نفي اللهﷻ عن نفسه ما نسبه إليه المشركين بتحريمهم ما لم يحرم وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يدعون.[4]

4- ما عاب الله على المشركين إلا الشرك والتحكم على الله، فالواجب على من أراد السلامة أن يُوحد ربه، وينفرد بكُلِّيته إليه، ويُخلص أعماله لله، ويصرف أمواله في مرضاة الله، ويقف في أموره كلها عند ما حدد له الله، وبَيَّنه رسول الله يكونُ من أولياء الله.[5]

5- في الآية دليل على أن العالم ينبغي له أن يتعلم قول من خالفه وإن لم يأخذ به، حتى يعرف فساد قوله، ويعلم كيف يرد عليه؛ لأن الله تعالى أعلم النبيﷺ وأصحابه قول من خالفهم من أهل زمانهم، ليعرفوا فساد قولهم.[6]

---

(1) ينظر: مرجع سابق، الصابوني، صفوة التفاسير، مج391/1.

(2)مرجع سابق، الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 62/8.

(3)القاسمي، محاسن التأويل، ت: محمد باسل عيون السود، ط 1، 1418هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، 503/4.

(4) ينظر: مصدر سابق، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 146/12.

(5)مرجع سابق، أبو العباس أحمد الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، 177/2.

(6)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، 1384هـ-1963م، دار الكتب المصرية، القاهرة، 96/7.

6- أن المشركين قسموا أنعامهم فقالوا: هذه أنعام حجر، وأنعام محرّمة الظهور، وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله. فجعلوها أجناسا بهواهم، ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله افتراء عليه.[1]

7- في قوله تعالى: ﴿...سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ فيه وعيد وتهديد للمشركين على افتراءهم على الله الكذب.[2]

المطلب الخامس: عادة أهل الجاهلية في قتل الأولاد ووأد البنات

الفرع الأول: نصوص الآيات وتفسيرها

أولا: قال تعالى :﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾[الأنعام:137]

فسر عبد الله ابن عباس هذه الآية بقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ﴾كما زينا قولهم وعملهم ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾بناتهم﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾من الشياطين ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ليهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ دين إبراهيم وإسماعيل ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ يعني التزيين ودفن بناتهم أحياء ﴿ فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ يكذبون على الله فيقولون إن الله أمرهم بذلك يعني بدفن البنات.[3]

وقال الشافعي في تفسيرها:﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الفعل القبيح ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ يعني: الشياطين أمروهم بأن يئدوا أولادهم خشية العيلة ﴿ لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم في النار ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ليخلطوا ويدخلوا عليهم

(1)مصدر سابق، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 71/2.

(2) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط1، 1425هـ، 2004م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 162/2.

(3)عبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ت: مجد الدين الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية، لبنان،ص120.

الشك في دينهم ثم أخبر أن جميع ما فعلوه كان بمشيئته فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.[1]

قال الزحيلي في تفسير قوله تعالى: ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾أقوال: أحدها: الشياطين، قوم كانوا يخدمون الأوثان، والغواة من الناس،[2] وفي الذي زينوه لهم من قتل أولادهم قولان: أحدهما: شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة،[3] قاله مجاهد، والثاني: أنه كان أحدهم يحلف إن ولد له كذا وكذا غلام أن ينحر أحدهم كما حلف عبد المطلب في نحر عبد الله، قاله مقاتل.[4]

كانت العرب تقتل الإناث من ولدها صغاراً، خوف العيلة عليهم والعار بهم، فلما نهى اللّه عز ذكره عن ذلك من أولاد المشركين، دل على تثبيت النهي عن قتل أطفال المشركين في دار الحرب، وكذلك دلت عليه السنة مع ما دلَّ عليه الكتاب، من تحريم القتل بغير حق.[5]

ثانيا: قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام:140].

قال السعدي في تفسيرها:﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم، وصار وصْفُهم –بعد العقول الرزينة– السفه المردي، والضلال.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ما جعله رحمة لهم، وساقه رزقا لهم. فردوا كرامة ربهم، ولم يكتفوا بذلك، بل وصفوها بأنها حرام، وهي من أَحَلِّ الحلال. وكل هذا ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي:

---

(1)النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط1، 1416هـ، ت: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت،ص377.

(2) مرجع سابق، الزحيلي، التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج،62/8.

(3) مجاهد، تفسير مجاهد، ت: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، 1410 هـ، 1989 م، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ص328.

(4)ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، 1422هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، 81/2.

(5) الشافعي، تفسير الشافعي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 824/2.

كذبا يكذب به كل معاند كَفَّار. ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: قد ضلوا ضلالا بعيدا، ولم يكونوا مهتدين في شيء من أمورهم.[1]

وقال ابن أبي زمنين في تفسير قوله تعالى:﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا﴾ يعني: سفه الرأي.﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أتاهم الله يأمرهم فيه بقتل أولادهم؛ وهي الموءودة؛ كانوا يدفنون بناتهم وهن أحياء خشية الفاقة، ويقولون: إن الملائكة بنات الله، والله صاحب بنات؛ فألحقوا البنات به ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني:ما حرموا من الأنعام والحرث ﴿ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾.[2]

ومما سبق يتبين أن: الذين فعلوا هذه الأفعال قد خسروا في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما في الآخرة فيصيرون إلى شر المنازل بكذبهم على الله وافترائهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: 69، 70].[3]

الفرع الثاني: المناسبات

أولاً: قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾[الأنعام:13]

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 275.

(2)ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة وآخرون، ط1، 1423هـ -2002م، الفاروق الحديثة، مصر-القاهرة، 101/1-102.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، 1420هـ-1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع، 347/3.

مناسبة الآية لما قبلها

كما زيَّنَتْ الشياطين أوهام المشركين في تلك القسمة الظالمة لما خلق الله من حرث وإبل وبقر وغنم في الآية السالفة، قد زيَّنَتْ لهم هاهنا أوهامهم في قتْل أولادهم عند الولادة، وأن يُنذروا لآلهتهم ذبح أولادهم، وإن تلك الأوهام تُرديهم وتخلط عليهم أمر الدين، فلا يدركونه على وجهه، وإذا كانت الأوهام لها ذلك السلطان على عقولهم، فاتركهم وما يفترونه على الله تعالى وعليك وسينالون عقاب ما يفترون، وتلك مشيئة الله، فلو شاء ما فعلوا.[1]

مناسبة الآية لما بعدها

لما ذكر الله إقدامهم على ما قبحه الشرع، ولامه على تقبيحه العقل من قتل الأولاد، أتبعه إحجامهم عما حسنه الشرع من ذبح بعض الأنعام لنفعهم، وضم إليه جملة مما منعوا أنفسهم منه ودانوا به لمجرد أهوائهم.[2]

ثانياً: قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام:140]

مناسبة الآية لما قبلها:

كما زينت الشياطين للمشركين بأن جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا على طريقتهم التي رأيناها في الآية السالفة، كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق، وزينوا لهم وأد البنات خشية العار؛ ليهلكوهم بذلك؛ وليخلطوا عليهم دين الله الذي هو دين الفطرة، كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته، وله الحكمة التامة في ذلك كله.[3]

---

(1) ينظر: لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –مصر، ص196.

(2) مرجع سابق، البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 284/7.

(3) مرجع سابق، سعيد حوى، الأساس في التفسير، 1732/3.

مناسبة الآية لما بعدها:

لما ذكر الله تعالى أحوال أولئك الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم، وحرموا على أنفسهم ما رزقهم الله من بهيمة الأنعام ونسبوا التحريم إلى الله تعالى افتراءً فيما سلف، ذكر سبحانه من بعد ذلك بطلان التحريم من خلق الله تعالى للنبات والنعم، مع ذكر نعمته في النبات والأشجار مما كان يدعوهم إلى التوحيد، والإيمان بالله وحده بدل أن يشركوا به، ويفتروا على الله بأوهامهم، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: 141] (1)

الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة

1- أخبر الله تعالى أن المشركين قد خسروا بقتلهم أولادهم وتحريمهم ما أحل الله لهم ورزقهم.(2)

2- أن الشياطين أغوت المشركين بقتل أولادهم فأفسدت فيهم الفطرة السليمة وأذهبت من قلوب الوالدين عواطف الرأفة والرحمة وقلبتها إلى منتهى الوحشة والقسوة، فهذا إرداء نفسي ومعنوي فوق الإرداء الحسي وهو القتل وتقليل النسل.(3)

3- أن الذين يدعون إلى منع النسل الآن خشية الإنفاق أو للإملاق يدعون بدعوة الجاهلية لعنهم الله وأخزاهم.(4)

(1) مرجع سابق، أبي زهرة، زهرة التفاسير، 2698/5.

(2) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ت: د. مجدي باسلوم، ط 1، 1426 هـ -2005 م، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، 272/4.

(3) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، 110/8.

(4) مرجع سابق، أبي زهرة، زهرة التفاسير، 5/ 2690.

4- حرمة قتل النفس لأي سبب كان وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر.[1]

5- في قوله تعالى:﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أي فاتركهم وكذبهم في قولهم: إن الله يأمرهم بقتل أولادهم فإن في ما شاء الله تعالى حكما بالغة وذلك دليل على أن كل ما فعله المشركون فهو بمشيئة الله تعالى.[2]

6- وسوست الشياطين للكافرين بالباطل فقبلت نفوسهم ذلك إذ الأشكال يتناصرون، فالنّفس لا تدعو إلا إلى الأجنبية، لأنها مدّعية تتوهم أن منها شيئا، وأصل كلّ شرك الدعوى، والشيطان لا يوسوس إلا بالباطل والكفر، فهم أعوان يتناصرون.[3]

7- أن المشركين افتروا على الله فضلوا عن طريق الصواب بهذه الأفعال وما كانوا مهتدين إلى الحق، ولا هم من أهل الاستعداد لذلك.[4]

8- أن سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم: أن الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الوالد فإذا تسبب الرجل في إزالة هذه النعمة عنه وإبطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والآخرة، أما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وإزالة ما أنعم الله به عليه. وأما خسارته في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم.[5]

9- تحريم ما أحل الله لهم، هو من أعظم أنواع الحماقة، لأنه يمنع نفسه تلك المنافع والطيبات.[6]

---

(1) مرجع سابق ، أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، 120/2-121.

(2)محمد نووي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، ت: محمد أمين الصناوي، ط1 -1417هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، 350/1.

(3)القشيري، لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 505/1.

(4) الشوكاني، فتح القدير،191/1.

(5) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 163/2.

(6) مرجع سابق، الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 63/8.

المطلب السادس: البعد الواقعي

1- افترى المتقدمين والمتأخرين من المشركين شبها لتكذيبهم بالرسل كما تقدم آنفا، قال تعالى في هود وقومه: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ [المؤمنون:33-34] وحكى تعالى مثل هذا عن غيرهم في هذه السورة (سورة المؤمنون) وفي غيرها.

ومثل هذا التناقض والتضاد في حكم البشر لأنفسهم وعليها معهود في كل زمان وكل مكان، فهم يرفعون أنفسهم تارة إلى ما هو أعلى من قدرها بما لا يحصى من الدرجات والمسافات البعيدة السحيقة، ويهبطون بها تارة إلى ما هو دون استعدادها بما لا يعد من الدركات العميقة، يتسامون تارة للبحث في عالم الغيب من الأزل الذي لا يعرفون أوله، إلى الأبد الذي لا يدركون نهايته، وللكلام في كنه الخالق، وفي كيفية صدور الوجود الممكن عن الوجوب الواجب.[1]

ويعترفون تارة بالعجز عن معرفة كنه أنفسهم والقصور عن الإحالة بأنواع الجنة التي تعيش في بنيتهم وتؤثر في جميع مواد معيشتهم من أطعمتهم وأشربتهم، يقولون تارة إن هذا الإنسان سيد الأكوان، تارة إنه مظهر الظلم والخلل والفساد وإنما يعظم أحدهم نفسه أو جنسه في تفسير مرآة نفسه، ويحقر غيره أو نفسه متمثلة في مرآة جنسه. ومن هذا الباب إنكار الكفار لبعثة الرسل، وكانوا تارة يكتفون بجعل البشرية علة للإنكار كما ترى في سورة هود وإبراهيم والإسراء والمؤمنين ويس والقمر والتغابن وتارة يصرحون بما في أنفسهم من الكبر واستثقالهم تفضيل الرسل على أنفسهم باتباعهم إياهم، وعلى هذا بنوا اقتراح نزول الملائكة عليهم مباشرة أو على الرسل مؤيدة لهم كقول قوم نوح: ﴿... مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ ...٢٤﴾ [المؤمنون:24].

---

(1)مرجع سابق، رشيد رضا، تفسير المنار،261/7.

وإنما شأنهم فيه شأن أكثر الناس حتى العلماء منهم فيما يوقعون فيه أنفسهم من المشكلات بسوء اختيارهم، وما يخترعونه من الشبهات بسوء فهمهم، ثم يحارون في أمر المخرج منها.[1]

2- إذا نظرنا إلى طبيعة معبودات مشركي زماننا فإننا نرى أنها مشابهة لما كانت عليه في العصر الجاهلي وكلها موجودة بحذافيرها، بل زيادة عليه نرى من يعبد الشيطان أيضا، وهناك من يعبد دستورا، أو راية، أو قائدا أو رئيس حزب أو علما من الأعلام أو فكرة من الأفكار. ولكن الغالب على مشركي معاصرينا هو عبادة الهوى وهو أعظم ما يعصى به الرب جل شأنه في العصر الحاضر.[2]

3- تلك الصور التي كانت تقع في جاهلية العرب من التصرف بغير شرع الله في الزرع والثمار، ليست إلا صورا من التصرف في المال لا تقتصر عليها الجاهلية، والتي ما تزال تقع في الهند وإفريقية وآسيا، فالجاهلية الحاضرة تتصرف كذلك في الأموال بما لم يأذن به الله،[3] ومن أمثلة ذلك ما يقع في واقعنا المعاصر من التحايل في الزكاة، والربا، والرشوة.

4- لقد رأينا سابقاً كيف أحل المشركون ما حرمه الله وتحريمهم ما أحله، ويتجسد هذا المظهر في عصرنا الحالي ولكن بصورة أخرى وذلك بتسمية الشيء الحرام بغير اسمه، وتغيير صورته مع بقاء حقيقته. ولاريب أنه لا عبرة بتغيير الاسم إذا بقي المسمى ولا بتغيير الصورة إذا بقيت الحقيقة. فإذا اخترع الناس صوراً يتحايلون بها على أكل الربا الخبيث، أو استحدثوا أسماء للخمر يستحلون بها شربها، فإن الإثم في الربا أو الخمر باق لازم.[4] وفي الحديث قال رسول

---

(1)مرجع سابق، رشيد رضا، تفسير المنار،7/261-262-263.

(2) أبو بكر محمد زكرياء، الشرك في القديم والحديث، ط1، 1422هـ-2001م، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، طريق الحجاز، 4/1322.

(3) مرجع سابق، سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/1218.

(4)القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ط1، 1433هـ-2012م، دار الكتب والوثائق القومية دار الكتب المصرية، مكتبة وهبة14 شارع الجمهورية، عبدين القاهرة، 40/39-40.

الله ﷺ: «**لَا تَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، حَتَّى تَشْرَبَ فِيهَا، طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا**»[1].

ومن غرائب عصرنا أن يسمى الرقص الخليع فناً، والخمور مشروبات روحية، والربا فائدة وهكذا.[2]

5- تجسدت ظاهرة قتل الأولاد ووأد البنات في عصرنا الحالي من خلال إنهاء المرأة حملها لأسباب غير شرعية، وذلك باللجوء إلى الإجهاض ومن أسباب هذا الفعل الشنيع الزنا، وكذلك سياسة تحديد النسل في بعض الدول.

ملخص المبحث:

ذكر الله ﷻ عادات وعقائد أهل الجاهلية في سورة الأنعام التي بيَّنت جهل وضلال المشركين؛ من تكذيبهم بالرسل وجعلهم شركاء لله فعبدوهم وعظموهم، وإتباعهم ما زينت لهم شياطينهم فأحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحله، في تقسيمهم تلك القسمة الباطلة للزروع والأنعام افتراءً على الله، وقتلهم أولادهم ووأدهم بناتهم سَفَهًا بغير علم، فنستنج من كل هذه الضلالات التي اتبعها المشركين جهلهم وسفاهة عقولهم وخسرانهم في الدنيا والآخرة لأنهم اتبعوا خطوات الشيطان.

(1)رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الأشربة، باب الخمر يسمونها بغير اسمها، حديث رقم: 3384، 1123/2.
(2)مرجع سابق، القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، 40/40.

المبحث الرابع: الأساليب القرآنية في معالجة العادات الجاهلية والبعد الواقعي لها

تضمن هذا المبحث الأساليب القرآنية التي استعملها القرآن الكريم في سورة الأنعام لمعالجة العادات الجاهلية والبعد الواقعي لهذه الأساليب وهي كالتالي:

- **المطلب الأول: أسلوب الأمر والنهي**
- **المطلب الثاني: أسلوب الجدال**
- **المطلب الثالث: أسلوب الترغيب والترهيب**
- **المطلب الرابع: أسلوب الاستفهام الإنكاري**
- **المطلب الخامس: أسلوب القصص القرآني**
- **المطلب السادس: البعد الواقعي**

المطلب الأول: أسلوب الأمر والنهي

أولا: تعريف أسلوب الأمر

لغة: الأمْرُ: مَصْدَرُ أَمَرَ فلانٌ علينا يَأْمُر وأمِرَ،[1] أصدر أمرًا، أو أعطى تعليمات لشخص ما، قضى.[2] والأمر ضدّ النهي والأمر الذي هو نقيض النَّهْي قولك افعَلْ كذا.[3]

اصطلاحا: لقول المقتضِي طاعة المأمور بفعل المأمور به، وقيل فِي حَدِّ الْأَمْرِ: إنَّهُ طلب الفعل، واقتضاؤه على غير، وجه المَسألة،[4] الأمر طلب الفعل على جهة الاستعلاء.[5]

ورد في السياق القرآني استعماله تعالى لأسلوب الأمر في قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام:150] فأمر ﷻ رسوله ﷺ بأن يطالب مشركي قومه بإحضار من عساهم يعتمدون عليه من الشهداء في إثبات تحريم الله تعالى عليهم ما ادعوه من المحرمات بعد أن نفى عنهم العلم، وسجل عليهم اتباع الحزر[6] والخرص[7] ليظهر لهم أنهم ليسوا على شيء يعتد به من العلم الاستدلالي ولا الشهودي في أنفسهم، ولا على شيء من النقل عن ذي علم شهودي، والأمر للتعجيز،[8]أي أحضروا شهداءكم الذين يخبرون عن علم

---

(1) عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1،142هـ -2008م، عالم الكتب، 116/1.

(2) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ص 2463.

(3) مصدر سابق، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،137/1.

(4)الغزالي، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، 1413هـ -1993م، دار الكتب العلمية، ص 202.

(5) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق-لبنان، 140/2.

(6) مختار عمر، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، ط1، 1429هـ-2008م، عالم الكتب، القاهرة، مادة: حزر أي قدَّرها بالتخمين والحدس،318/1.

(7) أبو حيان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ت: سمير المجذوب، ط1، 1403هـ-1983م، المكتب الإسلامي، مادة: خرص من الخرص الكذب أو الظن أو الحَزْر، ص114.

(8)مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 153/8.

شهودي أن الله حرم عليكم هذا الذي زعمتم تحريمه، وهو طلب تعجيز لأنه ما ثم شهداء يشهدون، فهو كالاستفهام عن العلم بذلك قبله، وكقوله من قبل: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ [الأنعام:144]، ولم يقل هاتوا شهداء ليحضروا أي امرئ يقول ما شاء، فإضافة الشهداء إليهم ووصفهم بما وصفهم يقتضي أن المطلوب منهم إحضاره هو جماعة من أهل العلم، الذين تتلقى عليهم الأمم الأحكام الدينية وغيرها بالأدلة الصحيحة التي تجعل النظريات كالمشهودات بالحس، أو كالرسل الذين يتلقون الدين الوحي الإلهي وهو أقوى العلوم الضرورية عندهم،كأنه يقول: إذا لم تكونوا أنتم على علم تقيمون الحجة على صحته، وكان عندكم شهداء تلقيتم عنهم ذلك وهم يقدرون على ما لا تقدرون عليه من الشهادة فأحضروهم لنا، ليدلوا بما عندهم من الحجة التي قلدتموهم لأجلها، ثم قال له:

﴿ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾[الأنعام:150]؛ أي فإن فرض إحضار شهداء شهدوا فلا تشهد معهم، أي فلا تقبل شهادتهم ولا تسلمها لهم بالسكوت عليها فإن السكوت عن الباطل في مثل هذا المقام كالشهادة به، بل بين لهم بطلان زعمهم الذي سموه شهادة فأمثال هذه الفروض تذكر لأجل التذكير بما يجب أن يترتب عليها إن وجدت كما يزعم أصحاب الأهواء فيها؛ ولذلك قال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾[الأنعام:150]؛ أي ولا تتبع أهواء هؤلاء الناس الذين كذبوا بآياتنا المنزلة، وما أرشدت إليه من آياتنا في الأنفس والآفاق، فوضع الظاهر موضع الضمير إذ لم يقل ولا تتبع أهواءهم، لبيان أن المكذب بهذه الآيات والحجج الظاهرة إصرارا على تقاليده الباطلة إنما يكون صاحب هوى وظن لا صاحب علم وحجة[1].

﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام:150]؛ أي والذين هم على جهلهم واتباع أهوائهم، لا يؤمنون بالآخرة فيحملهم الإيمان على سماع الحجة إذا ذكروا بها، وهم مع ذلك يشركون بربهم فيتخذون له مثلا وعدلا يعادله ويشاركه في جلب الخير والنفع ودفع

(1) مرجع سابق، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 160/8.

الضر، إن لم يكن باستقلاله وقدرته، فبحمله للرب على ذلك والتأثير في علمه وإرادته. ومن مباحث اللفظ أن " هلم " اسم بمعنى فعل الأمر يستوي فيه عند أهل الحجاز وعالية.[1]

واصل ﷺ أمره لنبيه فقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾ [الأنعام:151].

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...﴾ افتتاحه بطلب الحضور دليل على أن الخطاب للمشركين الذين كانوا في إعراض، أي قل أيها الرسول لهؤلاء الذين يتبعون أهواءهم فيما يحللون وما يحرمون لأنفسهم وللناس: أقبلوا إليّ أيها القوم أقرأ لكم ما حرم ربكم عليكم فيما أوحاه إليّ، وهو وحده الذي له حق التحريم والتشريع، وأنا مبلغ عنه بإذنه وقد أرسلني بذلك.

وخص التحريم بالذكر مع أن الوصايا أعم لأن بيان المحرمات يستلزم حل ما عداها، وقد بدأها بأكبر المحرمات وأعظمها وأشدها إفسادا للعقل والفطرة، وهو الشرك بالله، سواء أكان باتخاذ الأنداد له أو الشفعاء المؤثّرين في إرادته، أو بما يذكّر بهم من صور وتماثيل وأصنام وقبور، أو باتخاذ الأرباب الذين يتحكمون في التشريع فيحللون ويحرمون.[2] فقال:

﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾؛ جاء سبحانه بتحريم الشرك من خلال تركيب لغوي يؤكد علينا ألا نشرك به؛ فأنت ساعة تأتي لتلقى أوامر لمن ترأسه تقول له: استمع إلى ما أمنعك منه فاتبعه. ثم تبدأ في التفصيل، والحق هنا جاء بأول بند من المحرمات والمحظورات هو ألا نشرك به شيئاً. أي أتلو عليكم تحريم الشرك، فأول المحرمات الشرك، وعلينا أن نوحد الله، فكل نهي عن شيء أمر بمقابله وكل أمر بشيء نهي عن مقابله. وعلى ذلك فكل أمر يستلزم نهيًّا، وكل نهي يستلزم أمراً. فلا تلتبس عليكم الأوامر والنواهي. أو تكون عليكم منطقعة عما قبلها، أي عليكم

(1)مرجع سابق، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 8/ 160.

(2) مرجع سابق، المراغي، تفسير المراغي، 8/ 66.

ترك الشرك، وعليكم إحسانا بالوالدين، وألا تقتلوا أولادكم، وألاّ تقربوا الفواحش أي ألزموا ذلك.[1]

ثانيا: تعريف أسلوب النهي

لغة: نهي: النون والهاء والياء أصلٌ صحيح يدلُّ على غايةٍ وبلوغ، ومنه نَهَيته عنه وذلك لأمرٍ يفعله،والنُّهْيَة: العقل، لأنَّه ينهَى عن قبيح الفِعل والجمع نهىً.[2]

اصطلاحا: هو من أنواع الإنشاء الطلبيّ، وهو: طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام. وللنهي صيغة واحدة وهي المضارع المقرون ب «لا» الناهية الجازمة.[3]

عالج القرءان الكريم عادة أهل الجاهلية في قتل الأولاد ووأد البنات باستعماله أسلوب النهي وذلك في قوله تعالى: ﴿...وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾ [الأنعام:151]. فأوجب اللهﷻ بعد رعاية حقوق الأبوين رعاية حقوق الأولاد في قوله: ولا تقتلوا أولادكم من إملاق،[4] لأن الجاهلية كانت تفعل ذلك بالذكور والإناث من خوف الفقر، وتفعله بالإناث خاصة خشية العار،[5] وقد صرح بذكر الخوف في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾[الإسراء:31] والمراد منه النهي، فبين تعالى فساد هذه العلة بقوله: نحن نرزقكم وإياهم

(1) مرجع سابق، الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7/ 3985.

(2) مصدر سابق، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 359/5.

(3) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ط1، 1430هـ-2009م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص83.

(4) مصدر سابق، الرازي، مفاتيح الغيب، 178/13.

(5) مرجع سابق، الشوكاني، فتح القدير، 201/2.

لأنه تعالى إذا كان متكفلا برزق الوالد والولد فكما وجب على الوالدين تبقية النفس والاتكال في رزقها على الله فكذلك القول في حال الولد[1].

المطلب الثاني: أسلوب الجدال

تعريفه:

لغة: من الفعل جادل وقد جادله مجادلة وجدالا فهو جدل ومِجْدَلٌ ومِجْدالٌ كمِنْبَرٍ ومِحْرابٍ ومُجادِلٌ؛ والغرض منه إلزام الخصم وإفهام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان وقيل: أصل الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة.[2]وقال الراغب: الجدال: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله: من جدلت الحبل: إذا أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.[3]

اصطلاحا: الجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، والجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، وهو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة.[4]

استعمل السياق القرآني الأسلوب الجدلي في معالجته لعقيدة الجاهلية في سورة الأنعام في عدة موضع:

---

(1)مصدر سابق، الرازي، مفاتيح الغيب، 178/13.

(2) مصدر سابق، الزَّبيدي، تاج العروس، 194/28.

(3) مرجع سابق، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 189.

(4)مصدر سابق، الجرجاني، التعريفات، ص74-75.

أولا: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام:100-102]

كما عبدت العرب في الجاهلية الكواكب والأجرام السماوية كانت لديهم آلهة أخرى أومعتقد آخر وهو أنه هناك كائنات شريرة تشبه فكرة الشياطين وخافوا هذه الكائنات سواء كانت أرواحاً شريرة أو ذوات شريرة وقدموا لها القرابين اتقاء لشرها ثم عبدوها! والوثنية العربية واحدة من هذه الوثنيات التي وجدت فيها هذه التصورات الفاسدة، في صورة عبادة للجن، واتخاذهم شركاء لله سبحانه، فاستمر السياق القرآني بعرض الحجج والبراهين ومجادلة المشركين على بطلان رأيهم وسفاهته، فواجههم الله بسخف هذا الاعتقاد بقوله تعالى:﴿ وَخَلَقَهُمْ﴾، في ذكره: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ...﴾ هذه لفظة واحدة، ولكنها تكفي للسخرية من هذا التصور فإذا كان الله سبحانه هو الذي «خلقهم» فكيف يكونون شركاء له في الألوهية والربوبية؟ ولم تكن تلك وحدها دعواهم.

فأوهام الوثنية متى انطلقت لا تقف عند حد من الانحراف. بل كانوا يزعمون له سبحانه بنين وبنات: ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الأنعام:100] ثم يواجه فريتهم هذه وتصوراتهم بالحقيقة الإلهية، ويناقشهم في هذه التصورات بما يكشف عما فيها من هلهلة بقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنعام:101].[1]

إن الذي يبدع هذا الوجود إبداعاً من العدم ما تكون حاجته إلى الخلف!؟ والخلف إنما هو امتداد الفانين، وعون الضعفاء، ولذة من لا يبدعون!

(1) مرجع سابق، ابن قطب، في ظلال القرآن، 1162/13.

ثم هم يعرفون قاعدة التكاثر أن يكون للكائن صاحبة أنثى من جنسه فكيف يكون لله ولد وليست له صاحبة وهو سبحانه مفرد أحد، ليس كمثله شيء. فأنى يكون النسل بلا تزاوج؟! وهي حقيقة، ولكنها تواجه مستواهم التصوري وتخاطبهم بالأمثلة القريبة من حياتهم ومشاهداتهم! ويتكئ السياق في مواجهتهم على حقيقة «الخلق» لنفي كل ظل للشرك. فالمخلوق لا يكون أبداً شريكاً للخالق. وحقيقة الخالق غير حقيقة المخلوق: كما يواجههم بعلم الله المطلق الذي لا تقابله منهم إلاّ أوهام وظنون﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وكما واجههم السياق القرآني بحقيقة أن الله ﴿..خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ..﴾، ليرتب عليها تهافت تصوراتهم بأن لله سبحانه بنين وبنات، أو أن له شركاء الجن وهو خلقهم فإنه يتكئ على هذه الحقيقة مرة أخرى. لتقرير أن الذي يعبد ويخضع له ويطاع، ويعترف له بالدينونة وحده هو خالق كل شيء، فلا إله إذن غيره ولا رب إذن سواه،[1] بقوله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الأنعام:102].

اعلم أنه تعالى لما أقام الحجة على وجود الإله القادر المختار الحكيم الرحيم وبين فساد قول من ذهب إلى الإشراك بالله، وفصل مذاهبهم على أحسن الوجوه وبين فساد كل واحد منها بالدلائل اللائقة به. ثم حكى مذهب من أثبت لله البنين والبنات، وبين بالدلائل القاطعة فساد القول بها فعند هذا ثبت أن إله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والضد والند، ومنزه عن الأولاد والبنين والبنات، فعند هذا صرح بالنتيجة فقال: ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل ما سواه فاعبدوه ولا تعبدوا غيره أحدا فإنه هو المصلح لمهمات جميع العباد، وهو الذي يسمع دعاءهم ويرى ذلهم وخضوعهم، ويعلم حاجتهم، وهو الوكيل لكل أحد على حصول مهماته، ومن تأمل في هذا النظم والترتيب في تقرير الدعوة إلى التوحيد والتنزيه، وإظهار فساد الشرك، علم أنه لا طريق أوضح منه ولا أصلح منه.[2]

(1) مرجع سابق، ابن قطب، في ظلال القرآن، 13/1162-1163.

(2) مصدر سابق، الرازي، مفاتيح الغيب، 13/94.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾﴾[الأنعام:141-142]؛ إن الله سبحانه هو الذي خلق هذه الجنات ابتداء فهو الذي أخرج الحياة من الموات وهذه الجنات منها الإنسيات المعروشات التي يتعهدها الإنسان بالعرائش والحوائط ومنها البريات التي تنبت بذاتها بقدر الله وتنمو بلا مساعدة من الإنسان ولا تنظيم. وإن الله هو الذي أنشأ النخل والزرع مختلف الألوان والطعوم والأشكال. وإن الله هو الذي خلق الزيتون والرمان، منوع الصنوف متشابها وغير متشابه، وإنه سبحانه هو الذي خلق هذه الأنعام وجعل منها ﴿حَمُولَةً﴾ عالية القوائم بعيدة عن الأرض حمالة للأثقال. وجعل منها ﴿وَفَرْشًا﴾ صغيرة الأجسام قريبة من الأرض يتخذ من أصوافها وأشعارها الفرش.

إنه هو سبحانه الذي بث الحياة في هذه الأرض ونّوعها هذا التنويع وجعلها مناسبة للوظائف التي تتطلبها حياة الناس في الأرض فكيف يذهب الناس في مواجهة هذه الآيات وهذه الحقائق إلى تحكيم غير الله في شأن الزروع والأنعام والأموال؟

إن المنهج القرآني يكثر من عرض حقيقة الرزق الذي يختص الله بمنحه للناس، ليتخذ منها برهانا على ضرورة إفراد الله سبحانه بالحاكمية في حياة الناس. فإن الخالق الرازق الكافل وحده هو الحقيق بأن تكون له الربوبية والحاكمية والسلطان وحده بلا جدال:

وهنا يحشد السياق مشاهد الزرع والإثمار، ومشاهد الأنعام وما فيها من نعم الله يحشد هذه المؤثرات في صدد قضية الحاكمية، كما حشدها من قبل في صدد قضية الألوهية فيدل على أن هذه وتلك قضية واحدة في العقيدة الإسلامية.[1]

(1) مرجع سابق، ابن قطب، في ظلال القرآن، 3/ 1223.

ثم يأخذ السياق في مواجهة دقيقة يتتبع بها مكامن الأوهام الجاهلية، ليلقي عليها الضوء، ويستعرضها واحدا واحدا، وجزئية جزئية فيكشف فيها عن السخف الذي لا يمكن تعليله والدفاع عنه والذي قد يخجل منه صاحبه نفسه، حين يكشف له في النور وحين يرى أن لا سند له فيه من علم ولا هدى ولا كتاب منير.[1]فقال تعالى:

ثالثا: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ...﴾[الأنعام:143-144]؛ففي هذه الآية دليل إثبات المناظرة في العلم لأن الله تعالى أمر النبيﷺ بأن يناظرهم ويبين فساد قولهم وفيها إثبات القول بالنظر والقياس وفيها دليل أن القياس إذا ورد عليه النص بطل القول به ويروى إذا ورد عليه النقض لأن الله تعالى أمرهم أن يثبتوا بالمقايسة الصحيحة وأمرهم بطرد علتهم وأمرهم بأن يبينوا وجه الحرمة إن كان سبب الحرمة الأنوثة أو الذكورة أو اشتمال الرحم فإن كان سبب الحرمة الأنوثة ينبغي أن تكون كل أنثى حراما لوجود العلة وإن كان سبب الحرمة الذكورة ينبغي أن يكون كل ذكر حراما لوجود العلة وإن كان محرما لاشتمال الرحم وقد حرم الأولاد كلها ووجبت حرمتها جميعا لوجود العلة فيها فبين انتقاض علتهم وفساد قولهم وذلك قوله ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ﴾ يعني ثمانية أصناف ﴿ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ يعني الذكر والأنثى ﴿وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ يعني الذكر والأنثى ﴿ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ يعني قل لهم من أين جاء هذا التحريم من قبل الذكرين حرم أم من قبل الأنثيين.[2]

﴿ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾؛ يعني أم من قبل اشتمال الرحم لا يشتمل إلا على الذكر والأنثى.﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ﴾؛ يعني أخبروني بسبب التحريم ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أن الله حرم ما تقولون ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ

(1) المرجع نفسه، ابن قطب، في ظلال القرآن، 3/ 1224.

(2) مرجع سابق، ابن قطب، في ظلال القرآن، 3/ 1224.

أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾؛ يعني أين جاء هذا التحريم.ثم قال تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾؛ يعني إذا لم تقدروا على إثبات تحريم ذلك بالعقل فهل لكم كتاب يشهد على تحريم هذا فذلك قوله ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾؛ يعني أمركم بذلك التحريم.(1)

رابعا: قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام:145]

المعنى: قل لهم يا محمد: لست أجد شيئاً قد حرمه الله على آكل يأكله فيما أوحي إليَّ من كتاب الله إلا الميتة، والدم المسفوح وهو الجاري السائل ولحم الخنزير، وما ذبح للأصنام والأوثان: وهو قوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي إلى أكل هذا المحرم، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي يبغي الميتة، ﴿وَلَا عَادٍ﴾في الأكل. وقيل: باغ على المسلمين، من خرج لقطع السبيل، فليس له إذا جاع أن يأكل الميتة.(2)

خامسا: قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[الأنعام:146]

ومعنى الآية أن الله أخبر نبيه أنه حرم على اليهود جَزاءً بِبغْيِهِمْ كل ذي ظُفُرٍ، وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنَّعَام والإوز والبط، وأَنَّهُ حُرِّمَ عليهم شحوم ثروب الغنم والبقر. وقيل: إنَّما حرَّم عليهم كل شحمٍ غير مختلط بعظمٍ ولا على عظمٍ.(3)

---

(1) مصدر سابق، السمرقندي، بحر العلوم، 1/ 508.

(2)أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي –جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط1، 1429هـ-2008م، مجموعة بحوث الكتاب والسنة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة،3/2223،2222.

(3)مصدر سابق، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية الى بلوغ النهاية، 3/ 2231.

سادسا: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام:148-149]؛ استئناف رجع به الكلام إلى مجادلة المشركين بعد أن اعترض بينها بقوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام:145]، فلما قطع الله حجتهم في شأن تحريم ما حرموه، وقسمة ما قسموه، استقصى ما بقي لهم من حجة وهي حجة المحجوج المغلوب الذي أعيته المجادلة ولم تبق له حجة، إذ يتشبث بالمعاذير الواهية لترويج ضلاله، بأن يقول: هذا أمر قضي وقدر.[1]

سيقول المشركون محتجّين بمشيئة الله وقدره على صحة إشراكهم بالله لو شاء الله ألا نشرك نحن ولا آباؤنا بالله لما أشركنا به، ولو شاء الله ألا نحرّم ما حرَّمناه على أنفسنا لَمَا حرَّمناه. وبمثل حجتهم الداحضة كذَّب الذين من قبلهم برسلهم قائلين: لو شاء الله ألا نكذِّب بهم لما كذبنا بهم، واستمروا على هذا التكذيب حتى ذاقوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: هل عندكم من دليل يدل على أن الله رضي منكم أن تشركوا به وأن تحللوا ما حرمه وتحرموا ما أحله؟ فمجرد وقوع ذلك منكم ليس دليلًا على رضاه عنكم، إنكم لا تتبعون في ذلك إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، وما أنتم إلا تكذبون.[2]

سابعا: قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾؛ أي قل أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين بعد تعجيزك إياهم عن أن يأتوا بأدنى دليل أو قول يرقى إلى أضعف درجة من العلم: إن لم يكن عندكم علم في أمر دينكم، فإن لله وحده أعلى درجات العلم وله الحجة البالغة على ما أراد من إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ولو شاء سبحانه أن يهديكم بغير هذه

(1)مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8-أ/ 146.

(2)مرجع سابق، جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط3، 1/ 148.

الطريق التي أقام أمر البشر عليها وهي التعليم والإرشاد بطريق النظر والاستدلال لهداكم أجمعين فجعلكم تؤمنون بالفطرة كالملائكة المفطورين على الحق والخير.[1]

(1) مرجع سابق، المراغي، تفسير المراغي، 8/ 63-64.

المطلب الثالث: أسلوب الترغيب والترهيب

تعريفه:

الترغيب: هو كل ما يشوق المدعوّ إلى الإستجابة وقبول الحق والثبات عليه.[1]والترهيب وعيد، وتهديد بعقوله تترتب على اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت، والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي.[2]

يقول تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام:147] أي فإن كذبك يا محمد مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم، فقل: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة، واتباع رسوله، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين. وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنعام:165]، وقال ﴿رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الرعد:6]، وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر: 49-50]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾[غافر:3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾[البروج:12 -14]، والآيات في هذا كثيرة جدا.[3]

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي فإن كذبوك كفار قومك أو اليهود[4] في هذا وهو المروي عن مجاهد قيل: وهو الذي يقتضيه الظاهر لأنهم أقرب ذكرا. والصواب أنه خلاف الظاهر من جهة السياق. فإن الكلام في محاجة المشركين

---

(1)عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ط9، 1421هـ-2001م، مؤسسة الرسالة، ص437.

(2)عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص 231.

(3) مصدر سابق، ابن كثير، تفسير ابن كثير، 3/ 357.

(4)مصدر سابق، مجاهد، تفسير مجاهد، ص330.

الجاهلين فهم المقصودون بالخطاب بالذات. إلا أنه يمكن أن يقوى بالجواب، وهو أن اليهود لما كان يثقل عليهم أن يكون بعض شرعهم عقابا لهم، للتشديد في تربيتهم على ما كان من بغيهم على الناس وظلمهم لهم ولأنفسهم وتمردهم على رسولهم، ينتظر منهم أن يكذبوا الخبر من حيث تعليله بما ذكر، ويحتجوا على إنكار كونه عقوبة بكون الشرع رحمة من الله ؛ ولذلك أمر الله رسوله أن يجيبهم بما يدحض هذه الشبهة بإثباته لهم أن رحمة الله تعالى واسعة حقيقة ولكن سعتها لا تقتضي أن يرد بأسه ويمنع عقابه عن القوم المجرمين. والبأس الشدة والمكروه، وإصابة الناس بالمكاره والشدائد عقابا على جرائم ارتكبوها قد يكون رحمة بهم، وقد يكون عبرة وموعظة لغيرهم، لينتهوا عن مثلها أو ليتربوا على ترك الترف والخنوثة فتقوى عزائمهم وتعلو هممهم فيربئوا بأنفسهم عن الجرائم والمنكرات، وهذا العقاب من سنن الله تعالى المطردة في الأقوام والأمم وإن لم يطرد في الأفراد لقصر أعمارهم. ولذلك قال: ﴿عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ ولم يقل عن المجرمين.

ويمكن توجيه هذا الجواب في تكذيب مشركي مكة بأنه تهديد لهم إذا أصروا على كفرهم، وما يتبعه من الافتراء على الله بتحريم ما حرموا على أنفسهم، وإطماع لهم في رحمة الله الواسعة إذا رجعوا عن إجرامهم، وآمنوا بما جاء به رسولهم؛ إذ يكونون سعداء في الدنيا بحل الطيبات وسائر ما يتبع الإسلام من السعادة والسيادة، وسعداء في الآخرة بالنجاة من النار، ودخول الجنة مع الأبرار.[1]

كذلك ورد أسلوب التهديد والوعيد في سورة الأنعام لردع وزجر العرب عن جهالتهم وذلك في المواضع التالية:

أولا: في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[الأنعام:11].

(1)مرجع سابق، محمد رشيد رضا، تفسير المنار،8/ 154.

كانت العرب في الجاهلية تكذّب بالرسل وتطالبهم بالمعجزات والخوارق للتصديق بما جاءوا به، فجاء السياق القرآني يرد عليهم، ويتوعدهم فقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

أمر الله تعالى رسوله محمداًﷺ أن يقول لأولئك المستهزئين بما يعدهم من عذاب ربهم وهم أكابر مجرمي قريش:﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جنوباً لتقفوا على ديار عاد أو شمالاً لتقفوا على ديار ثمود، أو غرباً لتقفوا على بحيرة لوط فتعرفوا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ من أمثالكم لعلكم تحققون من طغيانكم وتكذيبكم فيسهل عليكم الرجوع.[1]

ثانيا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾[الأنعام:157].

يستمر السياق القرآني بتهديدهم وبيان خطأهم ومدى ظلمهم لأنفسهم لأنهم لم يخضعوا للرسالة الحق فقد قال جلا ثناؤه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام:157]. قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: فمن أخطأ فعلا وأشدّ عدوانًا منكم، أيها المشركون، المكذبون بحجج الله وأدلته وهي آياته ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾، يقول: وأعرض عنها بعد ما أتته، فلم يؤمن بها، ولم يصدّق بحقيقتها.وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، مخرج الخبر عن الغائب، والمعنيّ به المخاطبون به من مشركي قريش، وقوله: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، يقول: سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها، ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله، وحقيقة نبوة نبيه، وصدق ما جاءهم به من عند ربهم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ يقول: شديد العقاب، وذلك عذاب النار التي أعدَّها الله لكفرة خلقه به﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾، يقول: يفعل

(1) مرجع سابق، أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير،2/ 40.

الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا، فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمدﷺ.(1)

إن التعبير القرآني يمضي في هذا التهديد خطوة أخرى، للرد على ما كانوا يطلبونه من الآيات والخوارق حتى يصدقوا بهذا الكتاب وقد مضى مثل ذلك التهديد في أوائل السورة عند ما كانت المناسبة هناك مناسبة التكذيب بحقيقة الاعتقاد. وهو يتكرر هنا، والمناسبة الحاضرة هي مناسبة الإعراض عن الإتباع والتقيد بشريعة الله: فقد جاء في أول السورة: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨﴾ [الأنعام:8] وجاء هنا في آخرها: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام:158].

إنه التهديد الواضح الحاسم فقد مضت سنة الله بأن يكون عذاب الاستئصال حتماً إذا جاءت الخارقة ثم لم يؤمن بها المكذبون والله سبحانه يقول لهم: إن ما طلبوه من الخوارق لو جاءهم بعضه لقضي عليهم بعده وإنه يوم تأتي بعض آيات الله تكون الخاتمة التي لا ينفع بعدها إيمان ولا عمل.. لنفس لم تؤمن من قبل، ولم تكسب عملاً صالحاً في إيمانها. فالعمل الصالح هو دائماً قرين الإيمان وترجمته في ميزان الإسلام.

ولقد ورد في روايات متعددة أن المقصود بقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ هو أشراط الساعة وعلاماتها، التي لا ينفع بعدها إيمان ولا عمل. وعدوا من ذلك أشراطاً بعينها... ولكن تأويل الآية على وفق السنة الجارية في هذه الحياة أولى. فقد سبق مثله في أول السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾[الأنعام:8] والملاحظ أن السياق يكرر وهو بصدد الكلام عن الشريعة والحاكمية، ما جاء مثله من قبل وهو بصدد الكلام عن الإيمان والعقيدة، وأن هذا ملحوظ ومقصود، لتقرير حقيقة بعينها. فأولى أن

(1) مصدر سابق، الطبري، جامع البيان، 12/ 243-245.

نحمل هذا الذي في آخر السورة على ما جاء من مثله في أولها من تقرير سنة الله الجارية. وهو كاف في التأويل، بدون الالتجاء إلى الإحالة على ذلك الغيب المجهول.[1]

ثالثا: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام:144].

وقوله: فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا مترتب على الإنكار في قوله: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ... ﴿١٤٤﴾﴾، أي فيترتب على ذلك الإبطال والإنكار أن يتوجه سؤال من المتكلم مشوب بإنكار. عمن اتصف بزيادة ظلم الظالمين الذين كذبوا على الله ليضلوا الناس، أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا، فإذا ثبت أن هؤلاء المخاطبين قد افتروا على الله كذبا، ثبت أنهم من الفريق الذي هو أظلم الظالمين.

والمشركون إما أن يكونوا ممن وضع الشرك وهم كبراء المشركين: مثل عمرو بن لحي، واضع عبادة الأصنام، وأول من جعل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، ومن جاء بعده من طواغيت أهل الشرك الذين سنوا لهم جعل شيء من أموالهم لبيوت الأصنام وسدنتها، فهؤلاء مفترون، وإما أن يكونوا ممن اتبع أولئك بعزم وتصلب وشاركوهم فهم اتبعوا أناسا ليسوا بأهل لأن يبلغوا عن الله تعالى، وكان حقهم أن يتوخوا من يتبعون ومن يظنون أنه مبلغ عن الله وهم الرسل، فمن ضلالهم أنهم لما جاءهم الرسول الحق ﷺ كذبوه، وقد صدقوا الكذبة وأيدوهم ونصروهم.[2]

ويستفاد من الآية أن من الظلم أن يقدم أحد على الإفتاء في الدين ما لم يكن قد غلب على ظنه أنه يفتي بالصواب الذي يرضي الله، وذلك إن كان مجتهدا فبالاستناد إلى الدليل الذي يغلب على ظنه مصادفته لمراد الله تعالى، وإن كان مقلدا فبالاستناد إلى ما يغلب على ظنه أنه مذهب إمامه الذي قلده. وقوله: بغير علم تقدم القول في نظيره آنفا.

---

(1) مرجع سابق، ابن قطب، في ظلال القرآن، 3/ 1239.

(2) مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8 / 135.

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يجوز أن يكون تعليلا لكونهم من أظلم الناس، لأن معنى الزيادة في الظلم لا يتحقق إلا إذا كان ظلمهم لا إقلاع عنه، لأن الضلال يزداد رسوخا في النفس بتكرر أحواله ومظاهره، لأنهم لما تعمدوا الإضلال أو اتبعوا متعمديه عن تصلب، فهم بمعزل عن تطلب الهدى وإعادة النظر في حال أنفسهم، وذلك يغريهم بالازدياد والتملي من تلك الأحوال، حتى تصير فيهم ملكة وسجية، فيتعذر إقلاعهم عنها، فعلى هذا تكون إن مفيدة معنى التعليل.

ويجوز أن تكون الجملة تهديدا ووعيدا لهم، إن لم يقلعوا عما هم فيه، بأن الله يحرمهم التوفيق ويذرهم في غيهم وعمههم، فالله هدى كثيرا من المشركين هم الذين لم يكونوا بهذه المثابة في الشرك، أي لم يكونوا قادة ولا متصلبين في شركهم، والذين كانوا بهذه المثابة هم الذين حرمهم الله الهدى، مثل صناديد قريش أصحاب القليب يوم بدر، فأما الذين اتبعوا الإسلام بالقتال مثل معظم أهل مكة يوم الفتح.[1]

(1) مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8 /136.

المطلب الرابع: أسلوب الاستفهام الإنكاري

تعريفه:

معناه النفي، والمقصود منه هو الإنكار على المخاطب فعل أمر قام به في الماضي أو يمكن أن يحدث في المستقبل.[1] وفوق ذلك كله فإنَّ سياق الكلام فيه توبيخ، وهذا النوع من الاستفهام الذي يراد به النفي يعبر عنه علماء البلاغة بأنه استفهام إنكاري؛ لإنكار وقوع موضع الإنكار.[2]

أولا: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾[الأنعام: 74].

يتجلى هذا الأسلوب في انكار عقيدة أهل الجاهلية في شركهم بغير الله فقال الله تعالى منكرا على المشركين عبادتهم للأصنام وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾

الاستفهام في أتتخذ أصناما آلهة استفهام إنكار وتوبيخ والظاهر أن المحكي في هذه الآية موقف من مواقف إبراهيم مع أبيه، وهو موقف غلظة، فيتعين أنه كان عند ما أظهر أبوه تصلبا في الشرك. وهو ما كان بعد أن قال له أبوه ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم:46] وهو غير الموقف الذي خاطبه فيه بقوله:﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾[مريم:42].

ومعنى تتخذ هنا تصطفي وتختار فالمراد أتعبد أصناما، وفي فعل تتخذ إشعار بأن ذلك شيء مصطنع مفتعل وأن الأصنام ليست أهلا للإلهية، وفي ذلك تعريض بسخافة عقله أن يجعل إلهه شيئا هو صنعه.[3]

---

(1)الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، ت: طلعت صلاح الفرحان، ومحمد أديب شكور أمرير، ط1، 1430 هـ-2009م، دار الفكر -عمان، الأردن،2/ 36.

(2) أبي زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، ص 158.

(3) مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 7/ 312.

وقد تضمن ما حكي من كلام إبراهيم لأبيه أنه أنكر عليه شيئين: أحدهما جعله الصور آلهة مع أنها ظاهرة الانحطاط عن صفة الإلهية، وثانيهما تعدد الآلهة ولذلك جعل مفعولا تتخذ جمعين، ولم يقل: أتتخذ الصنم إلها.

وجملة: إني أراك وقومك في ضلال مبينة للإنكار في جملة: أتتخذ أصناما آلهة. وأكد الإخبار بحرف التأكيد لما يتضمنه ذلك الإخبار من كون ضلالهم بينا، وذلك مما ينكره المخاطب ولأن المخاطب لما لم يكن قد سمع الإنكار عليه في اعتقاده قبل ذلك يحسب نفسه على هدى ولا يحسب أن أحدا ينكر عليه ما هو فيه، ويظن أن إنكار ابنه عليه لا يبلغ به إلى حد أن يراه وقومه في ضلال مبين. فقد يتأوله بأنه رام منه ما هو أولى.[1]

ثانيا: قوله تعالى: ﴿... قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ وقوله: ﴿... قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا... ﴿١٤٤﴾﴾

بنى المشركين عقائدهم على أمور باطلة لا أساس لها من حق ولا علم فحرموا ما أحل الله لهم من الأنعام فأنكر اللهﷻ عليهم فعلهم الذي فعلوه بقوله: ﴿... قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ وقوله: ﴿... قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا...﴿١٤٤﴾﴾؛ الاستفهام في قوله: آلذكرين حرم في الموضعين مستعمل في ذلك التقرير والإنكار، والهمزة في الذكرين للإنكار والمراد بالذكرين: الذكر من الضأن والذكر من المعز. وبالإثنين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز، على طريق الجنسية. والمعنى إنكار أن يحرّم الله تعالى من جنسين الغنم ضأنها ومعزها شيئاً من نوعي ذكورها وإناثها، ولا مما تحمل إناث، الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الإبل والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما وذلك أنهم كانوا يحرّمون ذكورة الأنعام تارة، وإناثها تارة، وأولادهما كيفما كانت ذكوراً وإناثاً، أو مختلطة

(1) مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير،7/ 313.

تارة، وكانوا يقولون قد حرّمها الله، فأنكر ذلك عليهم. ﴿ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾؛ أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى يدلّ على تحريم ما حرّمتم ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾؛ في أنّ الله حرّمه.

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾؛ بل أكنتم شهداء. ومعنى الهمزة الإنكار، يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم؟ وذكر المشاهدة على مذهبهم، لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون: الله حرّم هذا الذي نحرّمه، فتهكم بهم في قوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ على معنى: أعرفتم التوصية به مشاهدين، لأنكم لا تؤمنون بالرسل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرّم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب.[1] وفي تكرير الاستفهام مرتين تعريض بالتخطئة، فالتوبيخ والتقريع الذي يعقبه التصريح به في قوله: إن كنتم صادقين وقوله: ﴿...أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ... ﴾ الآية. فلا تردد في أن المقصود من قوله: قل آلذكرين حرم في الموضعين إبطال تحريم ما حرم المشركون أكله، ونفي نسبة ذلك التحريم إلى الله تعالى.[2]

(1) مصدر سابق، الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 74.

(2)مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 130/8.

المطلب الخامس: أسلوب القصص القرآني.

تعريفه:

القصص القرآني هو أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى نتعرف من خلاله على مناهج الأنبياء في الدعوة وأساليبهم في الحوار فهو زاد للدعاة إلى الله تعالى ونبراس لهم.[1]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الأنعام:74-79]

وذلك في مناظرة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام قومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشترى، وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرقهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة. فبين أولا أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا تزيغ عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه،

---

[1] أحمد محمد الشرقاوي، الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي حول الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، جامعة الشارقة، 1428، ص 38.

ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال. ومثل هذه لا تصلح للإلهية. ثم انتقل إلى القمر. فبين فيه مثل ما بين في النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك. فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع،[1]

فقال ذكره تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[الأنعام:78] أي: أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن، فإن كانت آلهة، فكيدوني بها جميعا ثم لا تنظرون، ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الأنعام:79] أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف:54] وكيف يجوز أن يكون إبراهيم الخليل ناظرا في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾ [الأنبياء: 51-52]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾ [الأنعام:161].

وقد ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن رسول اللهﷺأنه قال: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**».[2] وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد؛ أن رسول اللهﷺ قال: «**قال الله: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ**».[3] وقال الله في كتابه العزيز: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ

(1) مصدر سابق، ابن كثير، تفسير ابن كثير، 3/ 292-293.

(2) مصدر سابق، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم: 1385، 100/2.

(3) مصدر سابق، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم: 63، 2197/4.

لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:30]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ...﴾[الأعراف:172].

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:120] ناظرا في هذا المقام؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب. ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرا قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:80-83]

يقول تعالى: وجادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد، وناظروه بشبه من القول، قال ذكره: ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ...﴾ أي: تجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو، وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه؟ فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة؟!

وقوله: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا...﴾ أي: ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئا، وأنا لا أخافها، ولا أباليها، فإن كان لها صنع، فكيدوني بها جميعا ولا تنظرون، بل عاجلوني بذلك.[1]

ولما حكم لإبراهيم عليه السلام، بما بين به من البراهين القاطعة قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ...﴾[الأنعام:83]؛ أي: علا بها عليهم، وفلجهم بها.[2]

(1) مصدر سابق، ابن كثير، تفسير ابن كثير، 3/ 292-293.

(2) مرجع سابق، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

المطلب السادس: البعد الواقعي

1- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين،[1] وما إستعمل سبحانه وتعالى من أسلوب في كتابه العظيم إلا لكي نقتدي ونعمل به في حياتنا، فنحن أيضا بحاجة إلى إستعمال أسلوب الأمر والنهي في تنظيم حياتنا وتسييرها بشكل جيد، ومن المجالات التي قد يستعمل فيها الإنسان هذا الأسلوب هو مجال التربية وبالتحديد في الأسرة، فيلقي الأب أو الأم بعض الأوامر لأبنائهم (كأهمية إحترام بعضهم البعض، وأهمية القيام بواجباتهم في المنزل، وأهمية الدخول في وقت معين للمنزل...الخ مما ينظم الأسرة)، وينهونهم عن بعض الأمور التي توتر جو الأسرة وتعكره (كرفع الصوت وقت الحوار، أوعدم إحترام خصوصيات بعضهم البعض، أوعدم إحترام بعضهم، أو عدم القيام بواجباتهم في المنزل...الخ)، وبهذه الأوامر تنتظم الأسرة وتقوى العلاقات بينها.

2- الجدل بالحسنى أسلوب حسن للدعوة، والمجادلة إذا كان المقصود بها إثبات الحق وإبطال الباطل فهي خير وتعودها وتعلمها خير، لاسيما في وقتنا هذا الذي كثر فيه الجدال والمراء، فالإسلام دين الهدى يدعوا إلى المجادلة بالتي هي أحسن،[2] لذلك وجب على الداعية الإلمام بهذا الأسلوب لما له من الأهمية البالغة. وقد كثر في وقتنا المنحازون عن طريق الحق لوجود هجومات شديدة على الإسلام من طرف أعدائه ومن بين ما يشوهه أعداء هذا الدين هو مسألة "الحجاب" الذي أصبح كثير من المسلمين لا يعتبرونه من الدين بالضرورة بسبب التشويهات التي تحاك ضده، لذلك على الداعية أن يلم بما يضحد هذه الفكرة ويقنع بها الذين

---

(1)ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، 1418هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص5.

(2) المجادلة الحسنة إثبات للحق ومواجهة للباطل، موضوع لم يذكر اسم صاحبه، أخذته يوم: 11-06-2020م، في الساعة 16:00، من موقع صحيفة الاتحاد على الشبكة العنكبوتية من الصفحة الآتية: https://www.alittihad.ae›articl

تشوهت أفكارهم من المسلمين كي يعودوا إلى صوابهم ويعرفوا أن الحجاب فرض من الله على المسلمين بأدلة كثيرة.

3- استعمل سبحانه وتعالى أسلوبي الترغيب والترهيب في القرآن الكريم وهما أسلوبين مهمين جدا لما لهما من تأثير في تربية المسلم، فيرغبنا في الإيمان من خلال ذكره للأجر المترتب عليه وذكره للجنة والخيرات التي فيها، ويرهبنا من الكفر من خلال ذكره لمآلات الكفار والطواغيت، وما استعمل القرآن هاذين الأسلوبين إلا ليقتدي المسلم بأساليب المولى عز وجل في تربية النفس البشرية فيستطيع المربي والداعية والمعلم أن يستعمل هاذين الأسلوبين في الدعوة والتربية، فمثلا المعلم يستعمله في خلال تدريسه للتلاميذ فيرغبهم في الدراسة من خلال إعطائهم بعض التحفيزات المعينة (نقطة إضافية مثلا، أو هدية رمزية لمن ينضبط...الخ)، ويرهبهم من عدم الإنضباط وعدم أداء الواجبات ببعض العقوبات (كخصم نقطة مثلا، أو كتابة جملة عدة مرات...الخ وغيرها من العقوبات التربوية).

قالﷺ:«**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**».[1]وفي هذا الحديث التَّخويف بتقديم الوعيد والتَّهديد على العقوبة، والسرّ في ذلك -واللَّه أعلم-أن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزَّجر اكتُفِيَ به عن الأعلى من العقوبة، وهذا من حكمته ﷺ فقد خوّف وزجر عن التخلُّف عن صلاة الجماعة بهذا الوعيد والهمّ >بالتَّعذيب، فالداعية الحكيم القادر أن يستخدم التَّخويف بالعقوبة الجائزة شرعاً، أما التَّعذيب بالنار فقد نسخ. ولابد في التهديد والوعيد بالعقوبة من مراعاة الشروط والضوابط الشرعية، والأصول التي دل عليها كتاب اللَّه وسنة رسولهﷺ. وهذه الشروط والضوابط والأصول تجعل الداعية في سلامة

(1) مصدر سابق، رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع السجود، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، حديث رقم:225، 651/1.

من الزلل، فلا ينكر منكراً ويقع ما هو أنكر منه، ولا يسعى في جلب مصلحة ويفوّت ما هو أعظم منها؛ فإن من أعظم الحكم في الدعوة إلى اللّه دفع المفاسد وجلب المصالح.[1]

4-إن الاستفهام الإنكاري من الأساليب النافعة في الدعوة إلى اللهﷻ، وقد ظهر هذا الأسلوب في هذا الحديث؛ لقولهﷺ لأم الربيع: «**وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ**».[2]

قال العلامة العيني: "الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الإنكار، والواو للعطف ".[3]وهذا يبين للداعية أهمية أسلوب الاستفهام الإنكاري في الدعوة إلى اللهﷻ عند الحاجة إليه.[4]

5- يعد الأسلوب القصصي في التربية من أنجح الأساليب لما للقصة من سحر وتأثير كبيرين على نفس السامع وعقله، ولما يمكن أن تؤديه القصة من خلال مضامينها التربوية من دور في غرس الإيمان والقيم والميول المطلوبة في نفس الفرد،[5] ومن المؤكد أننا يجب أن نقتدي بالقرآن في ذلك فكل قصص القرآن قصص واقعية عن الأنبياء والصالحين وعن المؤمنين والكفار وغيرها من القصص، والأسلوب القصصي كغيره من أساليب الدعوة له أهمية بالغة في مجال الدعوة وتربية النفس البشرية، وكتطبيق واقعي لهذا الأسلوب يستطيع المربي استعماله في توعية أبنائه أو من أراد نصحه من خلال قصة من واقعه المعاش، فمثلا إذا أراد المربي تنبيه ابنه عن خطورة التدخين، يحكي له عن قصة لأحد أقاربه أو جيرانه أنه كان بصحة جيدة قبل إدمانه التدخين ولكن عندما أصبح يدخن تدهورت حالته وهو من طبيب إلى طبيب من كثرة ما تفاقمت أمراضه، كي يتعظ الولد ويشعر بخطورة هذه الآفة.

---

(1) ابن وهف القحطاني، كيفية دعوة عصاة المسلمين إلى اللّه تعالى في ضوء الكتاب والسنة، ص48-49.

(2) مصدر سابق، رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، حديث رقم: 3982، 77/5.

(3)العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت،95/17.

(4)ابن وهب القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري،ط1، 1421هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،226/1.

(5) نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، ط3، 1418هـ-1998م، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ص145.

ملخص المبحث:

واجه القرآن الكريم الفكر الجاهلي وخلصه من المعتقدات الذميمة وذلك من خلال استعمال عدة أساليب؛ ومن هذه الأساليب منها ما جاء في سورة الأنعام لإبطال عادات الجاهلية وقد تطرقنا لها في مبحثنا هذا وهي: أسلوب الأمر والنهي، أسلوب الجدال، أسلوب التهديد والوعيد، الاستفهام الإنكاري، وأسلوب الترغيب والترهيب وقد بينا البعد الواقعي لهذه الأساليب.

الحمد لله رب العالمين

قبل أن نحط رحالنا آذنين بنهاية هذه الرحلة الممتعة مع هذا البحث نضع بين يدي القارئ بعض النتائج والفوائد التي خلصنا إليها في خلال بحثنا وأهم التوصيات التي نوصي بها:

أولا: النتائج.

1- دراسة مثل هذا الموضوع تبين لنا دليل على وسطية الإسلام من خلال اختلاف موقفه من العادات الجاهلية.

2- أوضحت لنا هذه الدراسة مدى حاجة المفسر لمعرفة عادات العرب، فبمعرفتها يسترشد المفسر.

3- كشف البحث عن عادات جاهلية مختلفة اجتماعية، اقتصادية، دينية... حظيت كلها بعناية القرآن.

4- تجديد الثبات على مبادئ ديننا الحنيف وتهذيب ما يجب تهذيبه وإبطال كل ما ينافي الدين والأخلاق.

5- استخدم القرآن أساليب متعددة لمعالجة عادات الجاهلية من بينها: أسلوب الأمر والنهي، وأسلوب الجدال.

6- أن أهل الجاهلية كانت لديهم عادات ومعتقدات فجاء الإسلام فأقر بعضها وهذب بعضها وأبطل بعضها.

7- الجاهلية تتنوع أنواعا بحسب اعتبارات مختلفة.

ثانيا: التوصيات.

1- نوصي أنفسنا وكل طلاب العلم وطلاب الشريعة بالأخص بأهمية دراسة العقيدة والتعرف على الله عز وجل وعلى أوامره ونواهيه وتبليغها للناس بالأسلوب الحكيم الذي استعمله الله في كتابه.

2- نأمل أن يكون هناك دراسات أكثر عن الأساليب القرآنية وكيف استعملها الله سبحانه في القرآن، ويا حبذا لو يكون هناك تطبيقات واقعية لهاته الأساليب في واقعنا المعاش كي نحيا في مجتمع إسلامي حق.

3- أخيرا نوصي بأهمية تعريف الناس بعادات ومعتقدات أهل الجاهلية لأجل أن يجتنبوها فقد انتشرت في وقتنا الحالي كثير من الأمور التي فيها تشبه بالمجتمع الجاهلي والتي يجب أن تقتلع من جذورها قبل أن تؤدي بالمجتمع المسلم إلى الهلاك.

وننهي هذا البحث سائلين من المولى عز وجل أن نكون قد أعطيناه حقه من البحث والدراسة وأن يكون علما نافعا لنا ولمن بعدنا، ونسأله تعالى بعدما رأينا العرب في جهلهم كيف كانوا وكيف بين الله لهم الخطأ من الصواب، أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ... ﴾	البقرة	193	36
﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾		199	31
﴿ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾		219	32
﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾		258	44
﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ ﴾	آل عمران	154	19
﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ... ﴾	المائدة	8	37
﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾		50	19
﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ... ﴾		120	10
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾	الأنعام	2-1	09
﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ... ﴾		2	04
﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾		3	10
﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ ... ﴾		11-7	42 | 40
﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ... ﴾		11	81
﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ... ﴾		12	04
﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ... ﴾		18	04
﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ... ﴾		19	04
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ ... ﴾		60	04
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ... ﴾		73	05
﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ ... ﴾		79-74	85 | 48
﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ... ﴾		83-80	74
﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ ... ﴾		100	74
﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ ﴾		102-100	74
﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾		118	08
﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ ... ﴾		136	51 | 01
﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ... ﴾		137	57

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ...﴾		139-138	54
﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا...﴾		140	06 58
﴿قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾		140	06
﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ...﴾		141	60
﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَاجٖۖ...﴾		144 -143	77
﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾		144	68
﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا...﴾		144	83
﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...﴾		146-145	79
﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا...﴾		146	78
﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ...﴾	الأنعام	147	88
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ...﴾		149-148	79
﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ...﴾		150	67
﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ...﴾		151	69
﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ...﴾		157	82
﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ...﴾		158	83
﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ...﴾		161	73
﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا...﴾		165-164	10
﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾		165	9 10 88
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾		54	72
﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾	الأعراف	171	06
﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن...﴾		172	73
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾	يونس	70-69	59
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ...﴾	الرعد	6	88
﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	الحجر	94	03
﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ...﴾		50 -49	88
﴿أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	النحل	120	73
﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ﴾	الإسراء	31	71

﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ...﴾	مريم	42	84
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ...﴾	الأنبياء	52-51	73
﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ﴾		58	45
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ...﴾	الحج	39	36
﴿...مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ...﴾	المؤمنون	24	64 | 63
﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾		34-33	63
﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ...﴾	الشعراء	227-224	34
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾		227	34
﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ...﴾	الروم	30	88
﴿...وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡ...﴾	الأحزاب	5 -4	33
﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾		33	17
﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ﴾	الصافات	158	47
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ...﴾	غافر	3	78
﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ...﴾	البروج	14- 12	78

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
« إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ العَرَبِ، فَاقْرَأْ...»	06
« أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ »	18
«إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ... »	91
« أَنَّ النِّكَاحَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ...»	22
«إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعَرِ لَحِكَمًا»	36
« إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ»	17
«الْأَنْعَامُ مِنْ نَوَاجِبِ الْقُرْآنِ »	05
«إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»	18
«فَاتِحَةُ التَّوْرَاةِ الْأَنْعَامُ، وَخَاتِمَتُهَا هُودٌ»	06
«قال الله: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ»	88
«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»	
« لَا تَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، حَتَّى تَشْرَبَ فِيهَا...»	65
«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ...»	17
« لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأُفُقَ »	06
«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي عَلَيْهَا...»	
«نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ لَيْلًا جُمْلَةً قَالَ عَلِيٌّ...»	05
«نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا مَوْكِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ...»	01
«نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا كَوْكَبَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ...»	06
«نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَيِّعُهَا...»	01
«هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ...»	35
«وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ... »	92

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	الصفحة
ابن إسحاق	25
أبي فديك	05
أحمد أمين	28
الجاحظ	
السالمي	05
يزدجرد	21

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
ثانيا: الكتب.
1- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ت: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
2- ابن أبي زَمَنِين، تفسير القرآن العزيز، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة وآخرون، ط1، 1423هـ -2002م، الفاروق الحديثة -مصر/ القاهرة.
3- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوي -محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية -بيروت، 1399هـ -1979م.
4- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، 1422 هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.
5- ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ت: ناصر عبد الكريم العقل، ط7، 1419هـ -1999م، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.
6- ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، 1418هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
7- ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط1 -1415 هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
8- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محب الدين الخطيب، دار المعرفة -بيروت، 1379.
9- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.
10- ابن عباس، تنوير المقباس من تفسير، ت: مجد الدين الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية – لبنان.
11- ابن عرفة، تفسير الإمام ابن عرفة، ت: د. حسن المناعي، ط1، 1986 م، مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس.
12- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي

محمد، ط: 1، 1422 هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

13- ابن عمر نووي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، ت: محمد أمين الصناوي، ط1 - 1417 هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

14- ابن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دارالفكر،1399هـ - 1979م.

15- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، 1420هـ - 1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

16- ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

17- ابن منظور، لسان العرب، ط3 -1414 هـ، دار صادر – بيروت.

18- ابن هشام، السيرة النبوية، ت: مصطفى السقا وآخرون، ط2، 1375هـ -1955، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

19- ابن وهب القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، ط1،1421هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

20- ابن وهف القحطاني، كيفية دعوة عصاة المسلمين إلى اللّه تعالى في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

21- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

22- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، ط: 142هـ، دار الفكر – بيروت.

23- أبو حيان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ت: سمير المجذوب، ط1، 1403هـ -1983م، المكتب الإسلامي.

24- أبو داود، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

25- أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسولﷺ، دار الفكر

العربي.
26- أحمد الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
27- أحمد الشربيني، تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع دار الكتب العلمية . بيروت.
28- أحمد الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط 1419 هـ، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.
29- أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي.
30- أحمد محمد الشرقاوي، الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي حول الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، جامعة الشارقة، 1428.
31- أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، 1429هـ -2008م، عالم الكتب.
32- أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة: رمزى جرجس، مراجعة الدكتور: صقر خفاجة، إعداد: محمد محمد عنانى، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة برعاية السيدة سوزان مبارك، تاريخ التنزيل: 2020/5/18، الساعة: 13.30.
33- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، ط 1 – 1412 هـ، دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت.
34- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط 1، 1415 هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
35- الألوسي، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، ت: يوسف بن محمد السعيد، ط1، 1425هـ-2004م، دار المجد للنشر والتوزيع.
36- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت–دمشق–لبنان.
37- البخاري، الأدب المفرد، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، 1409 – 1989، دار البشائر الإسلامية – بيروت.
38- البخاري، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، 1422هـ، دار

طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

39- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، 1420 هـ، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

40- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1 – 1418 هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

41- البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز –مكة المكرمة، 1414 – 1994.

42- البيهقي، شعب الإيمان، ت: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد وآخرون، ط1، 1423هـ –2003 م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

43- الترمذي، سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط2، 1395 هـ – 1975م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

44- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط2، 1422هـ/ 2001م، دار الفكر.

45- جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، 1424هـ/2003م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

46- جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية، ط1، 1404هـ-1984م، دار الكتب الإسلامية-دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت.

47- الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ.

48- الجرجاني، التعريفات، ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، 1403هـ – 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.

49- الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، ت: طلعت صلاح الفرحان، ومحمد أديب شكور أمرير، ط1، 1430 هـ –2009 م، دار الفكر، عمان –الأردن.

50- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: د.محمد التنجي، ط1 1995، دار الكتاب العربي – بيروت.

51- جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ت: عبد القادر أحمد عطا،

ط1، 1406هـ-1986م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

52- جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، ط1، دار الحديث، القاهرة.

53- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط3، 1436 هـ، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

54- الحارث بن أبي أسامة وآخرون، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، ت: د. حسين أحمد صالح الباكري، ط1، 1413 – 1992، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية -المدينة المنورة.

55- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط1، 1425هـ، 2004م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

56- الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ت: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط1، 2003 م، دار الغرب الإسلامي.

57- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، 1405 هـ /1985، مؤسسة الرسالة.

58- الرازي، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت – صيدا، 1420هـ / 1999م.

59- الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ط 3 -1420 هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

60- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، ط1، 1412 هـ، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت.

61- الرافعي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.

62- الركابي، الجهاد في الإسلام، ط1، 1418هـ-1997م، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان/دار الفكر دمشق-سورية.

63- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

64- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، 1408 هـ - 1988 م، عالم الكتب، بيروت.

65- الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، 1418 هـ، دار الفكر المعاصر-دمشق.

66- الزركلي، الأعلام، ط15،2002م، دار العلم للملايين.

67- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط 3 -1407 هـ.

68- سامي مكي، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، صدرت السلسة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923-1990، تاريخ التنزيل:2020/5/27، الساعة: 12.33.

69- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، 1420هـ -2000 م، مؤسسة الرسالة.

70- سعيد حوّى، الأساس في التفسير، ط6، 1424 هـ، دار السلام – القاهرة.

71- سليمان العبيد، تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، ط2،1430هـ-2010م، مكتبة التوبة، الرياض-المملكة العربية السعودية-شارع جرير.

72- السمرقندي، بحر العلوم، ت: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

73- سيد أبو المعاطي النوري وآخرون، موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، ط1، 1417 هـ / 1997 م، عالم الكتب.

74- سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط: 1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،

75- سيد قطب، جاهلية القرن العشرين، ط12،1412هـ-1992م، دار الشروق.

76- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط 17-1412 هـ، دار الشروق -بيروت-القاهرة،

77- الشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، 1417هـ/ 1997م، دار ابن عفان.

78- الشافعي، تفسير الإمام الشافعي، ت: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، ط

1، 1427 -2006 م، دار التدمرية -المملكة العربية السعودية.

79- الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم.

80- شمس الدين الإربلي، وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس، ط3،1900، دار صادر، بيروت.

81- الشوكاني، فتح القدير، ط1، 1414 هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت.

82- صالح بن فوزان، شرح مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب، ط1، 1421هـ - 2005م، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.

83- الصَّلاَّبي، السِّيرةُ النّبوية -عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، ط7، 1429 هـ -2008 م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

84- الطبراني، الروض الداني (المعجم الصغير)، ت: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط 1، 1405 – 1985، المكتب الإسلامي، دار عمار -بيروت، عمان.

85- الطبراني، المعجم الأوسط، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

86- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، 1420هـ - 2000م مؤسسة الرسالة.

87- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1427،1هـ-2006م، الدار الثقافية للنشر، القاهرة.

88- عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1429،1 هـ -2008 م، عالم الكتب.

89- عبد الرحمن التميمي، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ت: محمد حامد الفقي، ط7، 1377هـ/1957م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة-مصر.

90- عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع.

91- عبد العزيز البدري، الإسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية-المدينة المنورة.

92- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ط 1، 1430 هـ -2009 م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

93- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ط9، 1421هـ-2001م، مؤسسة الرسالة.

94- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.

95- علي الندوي، السيرة النبوية، ط12 – 1، دار ابن كثير – دمشق.

96- علي بن نايف الشحوذ، القرآن الكريم في مواجهة الجاهلية، ط1، 1431 هـ - 2010م.

97- علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط4، 1422هـ -2001م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة.

98- العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

99- الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1426،1هـ-2005م، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.

100- الغزالي، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، 1413هـ - 1993م، دار الكتب العلمية.

101- فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ط1، 1426 هـ -2005 م، دار عالم القرآن – حلب.

102- القاسمي، محاسن التأويل، ت: محمد باسل عيون السود، ط 1، 1418 هـ، دار الكتب العلميه – بيروت.

103- القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ط1، 1433هـ-2012م، دار الكتب والوثائق القومية دار الكتب المصرية، مكتبة وهبة14 شارع الجمهورية، عبدين القاهرة.

104- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1423هـ/ 2003م.

105- القشيري، لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

106- ابن كثير، البداية والنهاية، ت: علي شيري، ط1، 1408، هـ -1988 م، دار إحياء التراث العربي.

107-ابن كثير، مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطابﷺ وأقواله على أبواب العلم، ت: إمام بن علي بن إمام، ط1، 1430 هـ -2009 م، دار الفلاح، الفيوم – مصر.

108-الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ت: د. مجدي باسلوم، ط 1، 1426هـ - 2005م، دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان.

109- المباركفوري، الرحيق المختوم، ط1، دار الهلال، بيروت.

110- المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ت: بكري حياني -صفوة السقا، ط5، 1401هـ/1981م، مؤسسة الرسالة.

111- المجادلة الحسنة إثبات للحق ومواجهة للباطل، موضوع لم يذكر اسم صاحبه، أخذته يوم: 11-06-2020م، في الساعة 16:00، من موقع صحيفة الاتحاد على الشبكة العنكبوتية من الصفحة الآتية:https://www.alittihad.ae›article

112-مجاهد، تفسير مجاهد، ت: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط 1، 1410 هـ -1989م، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.

113-محمد أبو شُهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط8، -1427 هـ، دار القلم، دمشق.

114-محمد الأمين، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرءان، ط1، 1421هـ-2001م، دار طوق النجاة، بيروت لبنان.

115-محمد البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، ط1، 1414هـ-1993، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان، دار الفكر دمشق-سورية.

116-محمد القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ت: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ -1992م.

117- محمد المكي الناصري، التيسر في أحاديث التفسير، ط1405،1هـ، 1985م،

دار العرب الإسلامي، بيروت-لبنان

118-محمد أبي زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي.

119-محمد أبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

120- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

121- محمد رواس قلعه جي، دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمدﷺ (من خلال سيرته الشريفة)، ط1، 1408هـ-1988م، دار النفائس، بيروت لبنان.

122-محمد زكرياء، الشرك في القديم والحديث، ط1، 1422هـ-2001م، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، طريق الحجاز.

123-محمود شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1396هـ-1976م، مصر-القاهرة.

124- مختار عمر، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، ط1، 1429 هـ - 2008م، عالم الكتب، القاهرة.

125- المراغي، تفسير المراغي، ط1، 1365 هـ -1946م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

126- مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهصلى الله عليه وسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

127- مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ط1، 1431هـ-2010م.

128- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله محمود شحاته، ط1 - 1423هـ، دار إحياء التراث – بيروت.

129- مكي العاني، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت.

130-مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة

الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط1: 1429 هـ -2008 م، مجموعة بحوث الكتاب والسنة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

131-مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ط5، 1422هـ-2001م، مكتبة وهبة.

132-منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، ط2، 1413هـ -1992م، جامعة أم القرى.

133-منيرة محمد ناصر الدوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، ط1، 1426هـ، دار ابن الجوزي.

134- النابغة الجعدي، خبر شعر ووفادة.

135- نادية حسنى صقر، فلسفة الحرب في الإسلام،1410هـ-1990م.

136- نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، ط3، 1418هـ-1998م، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

137- نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ط2، مزيدة ومنقحة 1430هـ -2009 م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.

138- النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: يوسف علي بديوي وآخرون، ط1، 1419 هـ -1998 م، دار الكلم الطيب، بيروت.

139- النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ت: الشيخ زكريا عميرات، ط1، 1416 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

140- الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: صفوان عدنان داوودي، طبع مؤسسة الأهرام، ط 18، 1416 هـ -1995 م، دار القلم، الدار الشامية –دمشق، بيروت، لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر.

141- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2، 1995م، دار صادر، بيروت.

142- يعقوب أبو يوسف، المعرفة والتاريخ، ت: أكرم ضياء العمري، ط2، 1401هـ-1981م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

فهرس الموضوعات

إهداء	
شكر وعرفان	
الملخص.....	
مقدمة.....	أ
المبحث الأول: بين يدي سورة الأنعام.....	أ
المطلب الأول: التعريف بسورة الأنعام.....	**1**
الفرع الأول: اسم السورة	1
الفرع الثاني: مكان وسبب النزول	2
الفرع الثالث: عدد آياتها وترتيبها	2
المطلب الثاني: محورها.....	**3**
المطلب الثالث: فضلها.....	**5**
المطلب الرابع: أغراضها ومقاصدها	**7**
الفرع الأول: أغراضها	7
الفرع الثاني: مقاصدها	8
المطلب الخامس: المناسبات في سورة الأنعام.....	**9**
الفرع الأول: المناسبة بين اسم السورة ومحورها	9
الفرع الثاني: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها	9
الفرع الثالث: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها	10
الفرع الرابع: المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها	11
الفرع الخامس: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها	12
الفرع السادس: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما بعدها	12
المبحث الثاني: نبذة عن العادات الجاهلية	**ن14**
المطلب الأول: تعريف العادات الجاهلية	**15**
الفرع الأول: تعريف العادةُ	15
الفرع الثاني: تعريف الجاهلية	15
الفرع الثالث: تعريف العادات الجاهلية	16

المطلب الثاني: الجاهلية عبر التاريخ	**16**
المطلب الثالث: أنواع الجاهلية	**17**
المطلب الرابع: أهمية الإلمام بالعادات الجاهلية	**20**
المطلب الخامس: أحوال العرب في الجاهلية	**21**
الفرع الأول: الحالة الاجتماعية والخلقية	21
الفرع الثاني: الحالة الاقتصادية	23
الفرع الثالث: الحالة السياسية	23
الفرع الرابع: الحالة الدينية	25
الفرع الخامس: الحالة الفكرية	27
المطلب السادس: موقف الشرع من العادات الجاهلية	**30**
الفرع الأول: أهم ما أبطله القرآن والسنة من أحكام الجاهلية	31
الفرع الثاني: أهم ما أقره الإسلام من أخلاق الجاهلية	32
الفرع الثالث: ما هذبه الإسلام من أفعال الجاهلية	34
المبحث الثالث: الدراسة الموضوعية لآيات العادات الجاهلية	**40**
في سورة الأنعام والبعد الواقعي لها	**40**
المطلب الأول: عادة أهل الجاهلية في تكذيب الرسل	**41**
الفرع الأول: نص الآيات وتفسيرها	41
الفرع الثاني: المناسبات	43
الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة	44
المطلب الثاني: عقائد أهل الجاهلية في الإشراك بغير الله	**45**
الفرع الأول: نصوص الآيات وتفسيرها	45
الفرع الثاني: المناسبات	49
الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة	51
المطلب الثالث: عادات أهل الجاهلية في الزروع والثمار	**52**
الفرع الأول: نص الآية وتفسيرها	52
الفرع الثاني: المناسبات	53
الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة	54
المطلب الرابع: عقائد أهل الجاهلية في الأنعام	**55**

الفرع الأول: نص الآيات وتفسيرها	55
الفرع الثاني: المناسبات	56
الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة	57
المطلب الخامس: عادة أهل الجاهلية في قتل الأولاد ووأد البنات	**58**
الفرع الأول: نصوص الآيات وتفسيرها	58
الفرع الثاني: المناسبات	60
الفرع الثالث: الهدايات المستنبطة	62
المطلب السادس: البعد الواقعي	**64**
المبحث الرابع: الأساليب القرآنية في معالجة العادات الجاهلية	**67**
والبعد الواقعي لها	**67**
المطلب الأول: أسلوب الأمر والنهي	**68**
أولا: تعريف أسلوب الأمر	68
ثانيا: تعريف أسلوب النهي	71
المطلب الثاني: أسلوب الجدال	**72**
تعريفه:	72
المطلب الثالث: أسلوب الترغيب والترهيب	**80**
المطلب الرابع: أسلوب الاستفهام الإنكاري	**86**
تعريفه:	86
المطلب الخامس: أسلوب القصص القرآني	**89**
المطلب السادس: البعد الواقعي	**92**
خاتمة	**97**
الفهارس الفنية	**99**
فهرس الآيات القرآنية	100
فهرس الأحاديث والآثار	103
فهرس الأعلام المترجم لهم	104
فهرس المصادر والمراجع	105
فهرس الموضوعات	116